عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 139 / 8 كانون الأول 2019

في مخيم نازحين شمال ادلب

عدسة عمار الديك - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الليرة ومذبحة الأرقام.. السوريون بين برميلين

لطالما كان الاقتصاد في سوريا، تحت حكم آل الأسد، أحد أبرز وجوه التعبير عن فصامية الواقع، ومعياراً دائماً لفشل متزامن في جانبي السياسة والثروة، في بلاد حُكمت نظرياً خلال العقود الثلاثة الأولى من عمر طغيان السلالة بشعارات الاقتصاد السياسي الماركسي، واستنساخ مشوّه لتجارب سوفيتية فاشلة ومفقرة أصلاً، مع التشدق بتعديلات لا جدوى منها؛ تتعلق بخصوصية نظام النهب العلني للثروات الوطنية وتكريس حياة "خشاش الأرض"، التي عاشها السوريون حتى مطالع الألفية الثالثة.

عاش نظام الأسد بنسختيه زماناً على ثنوية تمكين السياسة بقوة القبضة الأمنية العسكرية بما يكفي لإنتاج آلية وأد ذاتيّة داخل المجتمع لأي تذمر اقتصادي - معاشي، والواقع أن هذه الآلية نجحت إلى حدٍّ بعيد على مدى عقود، وأتاحت للنظام في المقابل إنتاج آليات استخفاف بحيوية هذه المطالب وخطورتها.

وتجلّت هذه الخفّة بوضوح في حالتين بارزتين، الأولى ارتبطت ببدايات الثورة حين حاول النظام امتصاص المطالب الوجودية التي طرحها الشارع بتقديمات مالية رثّة أهانت الشارع وأجّجت الاحتجاجات، أما الثانية فهي حادثة الآن مع الانهيار المتسارع في سعر صرف الليرة متأثراً بالانغلاق السياسي في لبنان. يبدو النظام معزولاً عن اقتصاده، عاجزاً بصورة مطلقة عن التحكم في سعر الليرة، وغير مكترث على الإطلاق بالدمار الاقتصادي الشامل الذي يحيق بالسوريين جراء متوالية الغلاء التي تحفر عميقاً في أسس حياتهم.

المفارقة هي أنه وبينما تغلي المنطقة خصوصاً في لبنان والعراق لأسباب اقتصادية أساساً، بل إنّ الثوار في البلدين يستلهمون بعضاً من شعارات وميكانيزمات الثورة السورية، فإنّ نظام الأسد يبدو مرتاحاً لما يعتقد أنّه انعدام احتمال قيام ثورة رغيف في مناطق سيطرته، وربما يعود هذا إلى يقين بعمق أثر حرب الإبادة الوحشية التي شنها خلال السنوات الماضية وإلى صورته التي تكرست دولياً كسفاح محصّن من العقاب الثقيل.

لم يعد الأسد في حاجة إلى فرض حصارات تجويع على المدن السورية، تفقد الليرة معناها في استحالة الحصول على ما يقابلها، هو موهوم الآن بالنصر، وحرّاسه الروس والإيرانيون منتشرون في كل شبر، وهم في الحقيقة يواصلون ارتكاب المذابح في إدلب دون اكتراث بسؤال الشارع، سواء كان معارضاً مقموعاً أو منحبكجياً يقمع اضطراراته لإخفاء إلحاح المقارنة بين أولوية قتل المدنيين ببراميل المتفجرات في إدلب وبين توفير براميل المازوت في دمشق.

3 انهيار الليرة والمعيشة معاً

5-4 النازحون من تل أبيض ورأس العين في مهب التوظيف السياسي

7 ملامح تجارة النفط في الجزيرة السورية بعد منعه عن النظام

10-8-9 هيئة تحرير الشام تقيم منظومة اقتصادية واسعة

12 هويات القتلة في فيديو التوحش الروسي

16 الطب النفسي للسوريين في تركيا.. رحلة المستحيل

18 الاحتجاجات في لبنان تخلق انقساماً في حزب الله

19 أبو إيليا.. المولع بالأماكن التي لا يدخلها إلا الكبار

الصورة تعبيرية من الإنترنت

انهيار الليرة والمعيشة معاً

بغضّ النّظر عن الأسباب الاقتصادية التي دفعت بالليرة السورية إلى تدهورها الأخير، مقتربةً من حاجز الـ900 ليرة للدولار الواحد، إلا أن المؤكد أنّ انهيارها يُلقي بظلاله باردة وقاسيةً على جلّ السوريين في الداخل، خاصّة الموظفين مِنْ أصحاب الرواتب الثابتة التي كانت تكفي -بالكاد- لتغطية جزءٍ من مصاريف أصحابها قبل الارتفاع المَهُول في أسعار كل شيء، فضلاً عن عُمّال اليومية وأصحاب الأعمال التجارية الصغيرة، دون أنْ تَسلَم أيٌّ من مناطق النفوذ لكافة الأطراف على الأرض السورية من ارتدادات الأزمة، وإنْ شهدت تفاوتاً ملحوظاً في آثارها على المحلّيّين من منطقة لأخرى.

ورد فراتي

يقول "أبو محمد" من أهالي مدينة الميادين المهجرين في مدينة الباب الخاضعة لسيطرة الجيش الوطني في ريف حلب الشرقي، أنّ الدخول إلى السوق لشراء غرض ما أشبه بمتابعة مؤشرات البورصة العالمية على قناة اقتصادية، فكلّ بائع يضع على طاولته آلة حاسبة يُثمّن بها السّعر الجديد لكل شيء يُشترَى وإنْ كان "بسكويتة"، فيضرب المبلغ القديم بنسبة زيادة الدولار جابراً الكسور، ومعلناً "القيمة الجديدة" لبضاعةٍ قديمة اشتراها قبل غلاء السّلع النّاجم عن الأزمة الأخيرة.

يتابع أبو محمد ضاحكاً: "تدري اليوم مريت على محل صاحبنا آخذ من عنده علبة سمنة، لقيته مغليها 200 ليرة، قمت رحت على محل ثاني لقيته مغليها 400 ليرة، رجعت عالأول أشتريها أرخصلي لقيته زايد عليها 300 ليرة، رحت عالثاني لقيته زايد 100.. واثنيناتهم يقولون: طلع الدولار ونزل الدولار.. فشلون ما أريد أحسّها بورصة"

ورغم الغلاء الكبير في أسعار السلع -خاصة الغذائية منها- إلا أنّ حال "أبو محمد" وقاطني ريفي حلب الشمالي والشرقي الخاضع لسيطرة "الجيش الوطني"، يبدو أفضل بكثير من سكان المناطق الخاضعة لسيطرة نظام الأسد، والذين لم تقتصر مصيبتهم على الغلاء الفاحش؛ بل جاوزتها إلى اختفاء عدد من المواد التموينية من الأسواق، في ما يبدو حالة احتكار من التجار -كباراً ومحلّيّين- ترقُّباً لاستقرار سعر الصّرف أو طمعاً بمكاسب أكبر، مع استمرار انهيار الليرة التي يَتوقّع محللون أن تساوي 1000 منها دولاراً واحداً مع نهاية الشهر الجاري.

في البوكمال الخاضعة لسيطرة نظام الأسد، يستقلّ "سعيد" دراجته الهوائية إلى السوق لشراء كيلو سكر واحد، ويقول بأنه قد اضطر أنْ يمرّ بسبعة محلات ليجد لدى أحدهم ضالّته بسعر "فلكيّ" على حد تعبيره. ورغم تأكده من توافر السلعة لدى من اعتذروا منه، إلا أنه يفهم تماماً أنّ ما يحدث أشبه بإعلان إطباق الحصار على منطقة ما، لتفرُّغ من لحظتها الأسواق من كل شيء، لا لحالة الهلع التي تدفع الناس لشراء المواد التموينية بكثافة فقط، بل لحسابات الربح والخسارة التي تحكم التجارة الحرة.

يضيف سعيد: "يعني فجأة كل صحابين المحلات، وأوّل ما بلّشت الليرة نزول، صاروا يغلّوا الأسعار، ولما ما عاد توقف الليرة شافوا إنه اللي مشترينه ب 100 مبارح وبدهم يبيعوه ب 200 اليوم، إذا غبوه كم يوم ثانيات رح يبيعوه ب500 .. بهالبساطة يحسبها التاجر لما مابي حدا يقله لا"

ما يؤكد ما ذهب إليه سعيد هو أنّ المناطق الخاضعة لسيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) شرق الفرات لم تشهد فقدان أيٍّ من السلع الأساسية من أسواقها، رغم أنّ مصدر كثير منها هو مناطق النظام نفسها، ممّا يعني أنّ السلع متوفّرة ولم يتمّ قطعها من المصدر، بل من التاجر المحلّي في البوكمال وبقية مناطق النظام.

ولعلّ اعتماد منطقة شرق الفرات الكلّي في تجارتها على مبدأ "السوق الحر"، هو الذي حماها من فقدان السّلع، فحالة المنافسة بين طيف واسع من التجار، والثقة في استمرار تدفقها لوجود مصادر أخرى كتركيا عبر مناطق الجيش الوطني، هو ما يسمح باستمرار توفّرها لقاطني المنطقة. على أن وطأة الغلاء على قاطني شرق الفرات أخف منها على سكان الشمال السوري المُحَرَّر، حيث تزامن انهيار الليرة مع انقطاع المحروقات القادمة من المناطق الخاضعة لسيطرة قسد. وبسبب دخول فصل الشتاء والحاجة الكبيرة للمحروقات، يجدُ كثيرٌ من الأهالي أنفسهم في حيرة الاختيار بين الضروري والأكثر إلحاحاً.

فبحسب "حسين" (من أبناء مدينة دير الزور يقطن في مدينة إدلب) أنّ أُجرته من عمله في محل تصليح جوالات لم تتغير في الفترة الأخيرة، وأنه يجد نفسه منذ أسبوع تقريباً مضطرّاً للمفاضلة بين "المازوت" و"مونة البيت"، فيأخذ من مخصصات الثانية للأولى، أو يقرّر الاستغناء عن الأولى فترةً من الزمن.

أما خالد الذي يسكن مع عائلته بلدة البصيرة في ريف ديرالزور -الخاضع لسيطرة قسد- فيقول أن أثر ارتفاع الأسعار على المحروقات في المنطقة ليس كبيراً، لأن السكّان يمكن لهم أن يحصلوا على محروقات بسعر مُخَفّض على أساس دفتر العائلة، في ما يشبه البطاقات التموينية في سوريا سابقاً. "بس هاذ ما يعني إنه الناس مرتاحة" يضيف خالد، "يعني هسّا العيلة اللّي بدها تاكل طبخ بدها تحسب حسابها أنه رح تحط راتب موظف على ثلاث.. أربع طبخات.. لأنه كلشي صار نار."

ومع أنّ أثر انهيار الليرة السورية قد يتفاوت من منطقة لأخرى، إلا أنّ المؤكد أن التفاوت هذا لا يعدو كونه مقارنة بين حال سيّئ وأسوأ، وسلاح السوريين الوحيد في كلا الحالين: "الله يعدّيها على خير"

النازحون من تل أبيض ورأس العين في مهب التوظيف السياسي

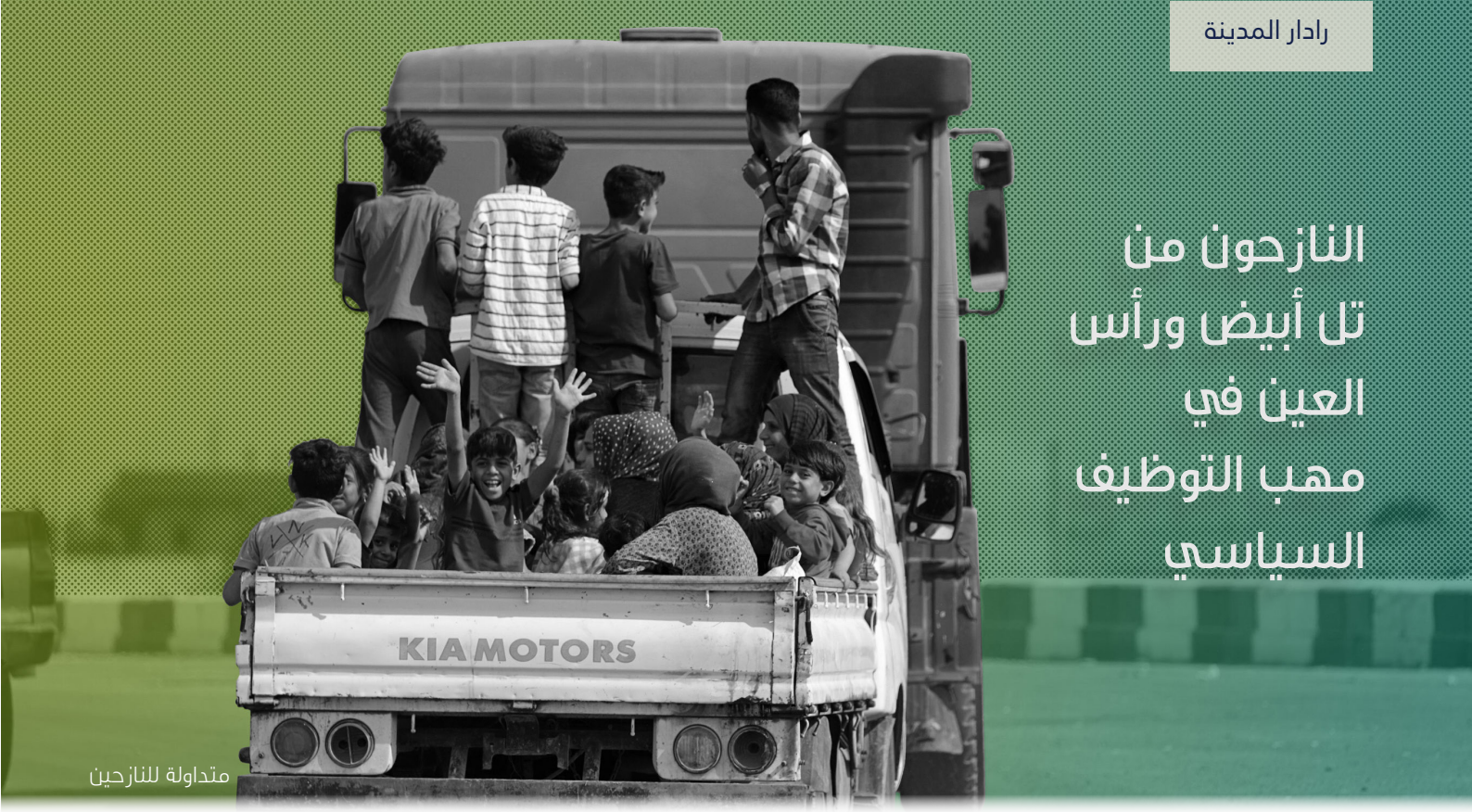

متداولة للنازحين

مصعب الحامدي

شهدت المنطقة الممتدة من تل أبيض حتى رأس العين شمالي محافظتي الرقة والحسكة المحاذيتين للحدود السورية التركية، حركة نزوح جماعية لقاطنيها من المدنيين بسبب العملية العسكرية التي أطلقها الجيش التركي مع فصائل "الجيش الوطني السوري" في 9 من تشرين الأول ضد "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد). ومع توزع النازحين على مناطق عدة، حاول كل طرف من الأطراف السياسية والعسكرية الفاعلة استثمار وصول نازحين إلى منطقة سيطرته لتشويه صورة طرف آخر أو لكسب شرعية سياسية، الأمر الذي انعكس حتى على تصريحات الهيئات الدولية المعنية بشؤون النازحين.

يقول خليل أحمد (29 عاماً من أهالي مدينة رأس العين):"لم أكن أتوقع حدوث الهجوم، لأن الأمور كانت تبدو شبه طبيعية في المنطقة قبل يوم من العملية العسكرية التركية، ورغم استنفار عناصر الوحدات الكردية فهم كانوا يؤكدون أن الأمر مجرد تهديدات لا أكثر". ويتابع "مع بدء العملية في الأرياف المحيطة برأس العين لم أكن قد قررت مغادرة المدينة، لكنني عندما قمت بجولة في سيارتي على عدد من أحياء المدينة وجدتها خالية والسكان يسعون للهروب بأي طريقة".

وتابع خليل أحمد مستعيداً تلك الساعات الصعبة "لم أحسم أمري بالمغادرة إلا بعد أن اتصل بي أهلي وألحوا عليّ لأخرج بهم إلى مدينة الحسكة، لأن الوضع بات خطيراً في رأس العين. عندها وضبت سريعاً ما هو ضروري من الأغراض، وبقينا قرابة ساعة ونصف ساعة لنتمكن من المغادرة عبر مخرج البلد الجنوبي بسبب الازدحام وكثرة النازحين الهاربين (باتجاه الحسكة)".

ومع احتدام المعارك في منطقة العمليات العسكرية الممتدة بطول نحو 140 كيلومتراً بين تل أبيض ورأس العين، كان لا بد لعشرات الآلاف من الأهالي من اتخاذ القرار المناسب حفاظاً على أرواحهم. فسعى البعض منهم إلى العثور على مأوى يظنونه أكثر أماناً في مكان قريب داخل المنطقة نفسها، بينما اختار آلاف آخرون البحث عن مكان خارج الحدود الإدارية للمنطقة يقيهم ويلات القتال.

ونتيجة هذه الفوضى وعدم وجود هيئة مركزية واحدة قادرة على رصد حركات النزوح هذه، كان من الصعب جداً رسم صورة واضحة وثابتة لأعداد النازحين ووجهاتهم. ففي 21 من تشرين الاول أفاد المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة ستيفان دوجاريك أن "180 ألف شخص نزحوا منذ بدء العملية العسكرية التركية في التاسع من تشرين الأول من بينهم 80 ألف طفل." بينما صرح نائب المتحدث باسم الأمين العام فرحان حق في 40 من تشرين الثاني، أن "أعداد النازحين من مناطق العمليات العسكرية قد بلغ نحو 108500 شخص بينهم أكثر من 47 ألف طفل".

كما صرح وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومنسق الإغاثة في حالات الطوارئ مارك لوكوك في 14 تشرين الثاني أنه "من بين أكثر من 200 ألف شخص فروا من شمال شرق سوريا بعد بدء العملية التركية عاد معظمهم، لكن أكثر من 70 ألف شخص ما زالوا مشردين". وبحسب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بتاريخ 22 تشرين الثاني، فإن 15500 لاجئ عبروا الحدود "بحثاً عن الأمان في العراق المجاور".

بينما قدرت "الإدارة الذاتية" في بيان صدر عنها في 27 تشرين الثاني، عدد النازحين ب 350 ألفاً من مناطق عملية نبع السلام. في حين انحصرت استجابتها لكل هذا العدد الضخم الذي أعلنت عنه، في إقامة مخيم "واشوكاني" قرب بلدة التوينة غربي مدينة الحسكة في بداية تشرين الثاني. وأوضح الهلال الاحمر الكردي "أنه قد يتسع لنحو 3000 عائلة"، كما أعلنت عن إقامة مخيم آخر في بلدة تل السمن في ريف الرقة الشمالي لإيواء نازحي تل أبيض وريفها في 23 تشرين الثاني الماضي.

من جانبها أعلنت مديرية الشؤون الاجتماعية في الحسكة التابعة للنظام، أن "عدد الأسر المهجرة من الريف الشمالي للحسكة وصل إلى نحو 19 ألف أسرة تقيم في 84 مركز إيواء مؤقت"، أي أن عددهم يقترب من مائة ألف شخص. لكن أحد العاملين في جمعية

خيرية مقربة من النظام أوضح لمجلة عين المدينة، أن أعداد النازحين وصل في مدينة الحسكة إلى 42727 نازحاً، "غالبيتهم يقيمون في منازل استأجروها أو عند أقاربهم، والبعض في مدارس تم تخصيصها لإيواء النازحين".

يعود جزء من الاضطراب في الأرقام التي تقدمها مختلف الجهات في هذه المنطقة إلى صعوبة إجراء إحصاء للسكان، ولمحاولة التلاعب بالأرقام لأهداف سياسية. ففي عام 2018 نقلت وسائل إعلام عن "المكتب المركزي للإحصاء" التابع للنظام، أن عدد السوريين الموجودين على الأراضي السورية بلغ في منتصف العام 2017 نحو 24,422 مليون نسمة، وهو رقم تكذبه أعداد النازحين السوريين في دول الجوار أو في أماكن أخرى من العالم.

يشرح ناشط حقوقي من تل أبيض يتنقل بين تركيا وسوريا طلب عدم ذكر اسمه، لعين المدينة أن النزوح في منطقة تل أبيض خلال العمليات العسكرية نزوح مؤقت. يقول الناشط "عادة ينزح أهالي قرية تشهد اشتباكات إلى القرى المجاورة، وبعد سيطرة الجيش الوطني عليها يعودون سريعاً" إلى منازلهم. ويتابع أن "النزوح الذي رافق العملية كان محدوداً وإلى القرى القريبة من الحدود مع تركيا، وفي العموم لم تحصل هناك اشتباكات قوية تسببت بنزوح جماعي". وأوضح أن قرابة 50 بالمئة من أهالي تل ابيض هم مهجرون في تركيا، أو في مناطق "غصن الزيتون" (عفرين) و"درع الفرات" (شمال شرق حلب)، وقد كانوا نزحوا قبل العملية التركية الأخيرة، وخاصة خلال سيطرة داعش أو وحدات حماية الشعب الكردية على المنطقة.

يقول يوسف (31 عاماً، أب لثلاث أطفال من مدينة تل أبيض) لعين المدينة إنه نزح مع "أغلب النازحين الذين اتجهوا إلى مدينة الرقة ومدينة عين عيسى وبعض أريافهما. العمليات العسكرية في تل أبيض لم تستمر كثيراً، لذلك قررنا العودة إلى بيوتنا. لكن لا تزال الحركة بالأسواق ضعيفة لقلة المواد الغذائية والخضار وكذلك الخوف من التفجيرات والسيارات المفخخة".

ولدى مقارنة الأرقام التي حصلت عليها مجلة عين المدينة من العامل في الجمعية الخيرية المقربة من النظام، بحصيلة الأرقام التي قدمتها مكاتب وهيئات الأمم المتحدة، يتبين أن مناطق النظام في الحسكة هي الوجهة المفضلة لنازحي رأس العين. وربما تدخل التفضيلات السياسية في خيار أهالي تل أبيض في العودة إلى مدينتهم تحت ظل "الجيش الوطني"، لكون الأخير حقق "حلم العودة" لنازحين سابقين عن المدينة هرباً من ملاحقة قوات الإدارة الذاتية أو التجنيد الإجباري، إضافة إلى خوف السكان على ممتلكاتهم الخاصة من النهب، بينما يأتي البحث عن الأمان في أعلى درجات سلم الخيارات لدى أهالي رأس العين الذين يشكلون الكتلة الكبرى من أعداد النازحين.

أبو علي (31 عاماً تركماني من قرية حمام التركمان التابعة لمنطقة تل أبيض، خريج أدب انكليزي)، يقول "الأهالي تركوا المدينة كنتيجة للحرب، حتى أن أهل مدينة أقجع قلعة التركية المقابلة لتل أبيض نزحوا بسبب القذائف التي أطلقتها قوات قسد باتجاه الأراضي التركية. ثم عاد أهالي منطقة تل أبيض بسبب عدم القدرة على النزوح، وعمليات السرقة التي حصلت واستهدفت منازلهم. ثم أن المعارك التي شهدتها مدينة تل أبيض لا تقارن بالمعارك الشرسة التي جرت في رأس العين لوجود مقاومة من قبل قوات قسد هناك".

الشاب محمد (24 عاماً) نزح من رأس العين إلى مدينة الحسكة ثم عاد إلى بيته في رأس العين، يقول: "جميع الأطراف يحاولون استغلال معاناتنا. عندما كنت في الحسكة، كانت تزورنا في اليوم الواحد من 3 إلى 4 منظمات وجمعيات خيرية، ولكن كل ما حصلنا عليه هو اسفنجات وبطانيات وكرتونة مساعدات غذائية". يتابع محمد "كنت موجوداً بساحة الحمرا (الرئيس) وسط مدينة الحسكة عندما كانت القوات الروسية توزع مساعدات غذائية. حصلت على كيس من المساعدات يوجد فيه علبتا ساردين و200 غرام شاي وكيلو سكر وكيلو رز و2 كيلو طحين".

وتذكر أم عبد (37 عاماً معلمة مدرسة وأم لخمسة أطفال من رأس العين نزحت إلى مدينة الحسكة) أنها عادت إلى بيتها بسبب "غلاء إيجار المنازل الذي بلغ ما يقارب 150 ألف ليرة سورية"، مضيفة "قد تتوفر للنازحين بيوت بأسعار أقل لكنها لا تصلح للحيوانات" حسب تعبيرها. وتستدرك أم عبد في حديثها لعين المدينة "صحيح أننا عدنا، ولكنني ما زلت خائفة على أطفالي من عمليات التفجير أو حتى من الألغام التي زرعت منذ أيام الاشتباكات. الناس ليس لديهم سبب للرجوع، فالماء والكهرباء مفقودة، والاعتقالات (من قبل الفصائل التابعة للوطني) بغرض الفدية كثيرة".

خضعت جميع المعلومات الخاصة بالنازحين من منطقة عملية نبع السلام لاضطراب كان وراءه عدم سهولة الوصول إلى المعلومات، كما خضع بنسبة أكبر للخطابات السياسية من أطراف محلية عدة. أما وضع خلفيات إثنية وراء تفضيل قسم من السكان (الأكراد خاصة) عدم العودة إلى مناطقهم كما تفعل جهات إعلامية وبحثية وسياسية، فذلك يكذبه تمسك نازحون عرب بعدم العودة حتى الآن، كما أن هذا التحليل يفتقر إلى أرقام صحيحة -لا تمتلكها أي جهة- تخص التوزع الإثني في المنطقة.

النزوح من مخيم إلى مخيم
وجهة النازحين من مخيم قاح جراء قصف النظام

أحمد العكلة

حمل محمد الكنجو (27عاماً) أمتعته الخاصة وبعضاً من أثاث خيمته القديمة، وغادر مخيم قاح على الحدود السورية التركية حيث كان يقيم ويعمل، متوجهاً إلى مخيم آخر للاجئين في منطقة سرمدا يعيش فيه أقرباء له، وذلك بعد تعرض مخيم قاح في العشرين من تشرين الثاني الماضي لقصف صاروخي أدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى.

وكان محمد الكنجو نزح من بلدة حاس في ريف إدلب الجنوبي عام 2013 إلى مخيم بلدة قاح الذي تم إنشاؤه قبل أكثر من 6 سنوات، ليكون المخيم الثاني الذي يتم تجهيزه بعد مخيم منطقة أطمة، لاستقبال النازحين من ريف إدلب وحماة هرباً من هجمات النظام السوري على المنطقة.

ويقول محمد الكنجو لمجلة عين المدينة: "كنت أعمل حارساً في إحدى المنظمات الإنسانية داخل المخيم وأتقاضى ما يقارب 250 دولاراً شهرياً، تساعدني في تأمين مستلزمات المعيشة لعائلتي. ولكن بعد استهداف المخيم بالقصف واحتراق عشرات الخيم باتت الحياة فيه مستحيلة، ما اضطرني إلى النزوح باتجاه مخيم أكثر أمناً خوفاً من تعرضه للقصف مجدداً".

وأضاف "كان المخيم يضم نحو 3500 مدني جلهم من الأطفال والنساء، لكنه بات فارغاً اليوم بشكل شبه كامل. فقد نزح قسم من قاطنيه باتجاه منطقة أطمة، في حين نزح قسم آخر باتجاه مخيمات عقربات وسرمدا وتجمع الكرامة، لجأ أغلبهم إلى أقارب لهم لفترة معينة، وذلك للسعي إلى تأمين خيام جديدة بديلة عن خيامهم في المخيم القديم". وفي المخيمات التي توجهوا إليها ستكون إقامتهم حتى إشعار آخر.

وأكدت مصادر طبية أن حصيلة الضحايا المدنيين الذين سقطوا جراء قصف مخيم قاح في ريف إدلب الجنوبي هي 12 قتيلاً بينهم ستة أطفال، وأكثر من 20 جريحاً. ورجحت مصادر عسكرية محلية، أن يكون مصدر القصف قوات النظام السوريّ والميليشيات الإيرانية في ريف حلب الجنوبيّ، وقد استخدمت فيه صواريخ عنقوديّة بعيدة المدى.

أسامة السليم أحد قاطني مخيم الضياء 2 في منطقة سرمدا الحدودية، استقبل عائلتين من أقربائه هربتا من مخيم قاح بعد استهدافه. وقد تسلل أفراد العائلتين ليلاً بعد القصف باتجاه مقر إقامتهم الجديد، خشية تكرار القصف. وتمكن السليم من تأمين بعض المستلزمات العاجلة لأقربائه من النازحين مثل مواد غذائية وأغطية.

يقول السليم لعين المدينة: "أكثر من 100 عائلة نزحت إلى هذا المخيم ليلة القصف، حيث قام الكثير من الأهالي بتفريغ خيمهم من أجل إيواء أقاربهم الذين تعرضوا للقصف واحترقت خيمهم، ونحن نطالب المنظمات الإنسانية بنصب خيام جديدة من أجل استيعاب هذه العوائل في هذه المنطقة". وأضاف السليم راوياً تفاصيل النزوح بعد ليلة القصف الوحشية على المخيم "عند وصول العائلات من مخيم قاح كان الأطفال والنساء يعانون من حالة خوف هستيرية بعد أن شاهدوا احتراق أقرباء وجيران لهم أمام أعينهم، إضافة إلى خشيتهم من تكرار استهدافهم بالقصف أثناء نزوحهم". وأوضح أن حالة الذعر هذه "أدت الى وفاة رجل في الثلاثين من عمره نتيجة سكتة قلبية أصابته أثناء قصف المخيم، ولم يستطع الأطباء إنقاذه بعد نقله إلى المستشفى".

من جهته يؤكد النازح أحمد السعيد على رغبته في العودة إلى مخيم قاح والعيش فيه بعد إعادة تأهيله، وذلك رغبة منه بالعودة إلى وظيفته، حيث كان يعمل مدرساً في مدرسة المخيم منذ أكثر من أربعة أعوام. يقول السعيد: "لم نفقد الأمل حتى الآن بالعودة للعيش في المخيم، لكننا نبحث عن ضمانات دولية تمنع النظام من استهداف المخيمات من جديد. إن الانتقال من مخيمنا إلى مخيم آخر في منطقة أخرى من شأنه أن يفقدني وظيفتي التي تؤمن القوت لأطفالي، بالإضافة إلى خسارة الأجواء الاجتماعية بين أبناء المخيم بعد العيش معاً لفترة طويلة".

وأوضح السعيد أن "غالبية سكان المخيم كانوا يعتاشون من أعمال أو مشاريع خاصة بهم في المخيم نفسه، بعضهم كان يعتاش من محل تجاري بسيط أو حتى من بسطة، في حين أن البعض الآخر كان يتدبر أمره بوظائف بسيطة او في توزيع المساعدات الإنسانية، لذلك فإن تكلفة ترك المخيم ستؤدي إلى خسارة أغلب سكانه أعمالهم وبالتالي المصدر الرئيسي لرزقهم".

ويعمل عدد من الجهات الإنسانية على إجراء إحصائيات مستمرة للنازحين القدامى وللذين وصلوا مؤخراً إلى الحدود السورية التركية، لتقييم احتياجاتهم وتأمين المستلزمات المعيشية لهم من دعم غذائي وصحي وأغطية مع دخول فصل الشتاء.

ويقول مصعب أبو مصطفى الذي يعمل في مجال توثيق إحصائيات المخيمات لمجلة عين المدينة: "يبلغ عدد النازحين في منطقة أطمة 123 ألف نازح بينهم 57 ألف طفل، و23650 امرأة، ينتشرون في مخيمات أبرزها الكرامة والشهيد صالح وصرخة طفل وتجمع دعاة الكويت". وأضاف "أما سكان مخيمات قاح فيبلغ عددهم 44520 نسمة، حيث تضم مخيمات أبرزها تجمع شهداء عابدين وتجمع شهداء خان شيخون والفرقان والميدان وأبناء حمص، في حين يتوزع باقي النازحين على مخيمات عقربات ودير حسان وسرمدا والدانا على الحدود السورية التركية".

ويذكر بأن المنظمات الإنسانية قامت في الآونة الأخيرة بتشييد مخيمات جديدة في مناطق متفرقة من الحدود السورية-التركية بهدف استيعاب الكم الهائل من النازحين من مناطق ريف إدلب الجنوبي ومنطقة سهل الغاب وريف إدلب الشرقي، جراء الحملة العسكرية الروسية السورية المستمرة على هذه المناطق.

بعدسة الكاتبة - مخيم أطمة

ملامح تجارة النفط في الجزيرة السورية بعد منعه عن النظام

فيصل دهموش

خلال الأسبوعين الماضيين، شنت "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) بدعم من قوات التحالف الدولي حملة مداهمات على معابر تهريب المحروقات عبر نهر الفرات إلى مناطق نظام الأسد، خصوصاً في بلدتي شحيل وذيبان. استمرت الحملة لعدة أيام، صادرت قسد خلالها محركات عدد من العبارات النهرية المستخدمة في التهريب، وبعض صهاريج المازوت المعدة للتهريب.

ورغم هذا، عاود المهربون بعدها بأيام أنشطتهم المعتادة بتهريب المحروقات إلى مناطق نظام الأسد، لتعود قسد وتشن حملة مداهمات ضد المعابر مرة أخرى في بلدة ذيبان وقرية الطيانة في ريف دير الزور الشرقي، حسب ناشطين وسكان محليين من المنطقة.

إلى غاية الآن، وكما جرت العادة في الحملات السابقة، لم يبدر إزاء حملة المداهمات الحالية أي رد فعل من الجهات المحلية المتضررة من مثل هكذا حملات، سواء أعضاء شبكات التهريب أو المجموعات الاجتماعية المرتبطة بها والمستفيدة منها، أو حتى مجلس دير الزور العسكري المستفيد هو الآخر من استثمار النفط وتهريب المحروقات، حيث يسود اعتقاد محلي بأن الحملة الحالية لمداهمة معابر التهريب لا تتجاوز نطاق مثيلاتها من الحملات السابقة، من حيث طبيعتها أو من حيث جديتها في إغلاق معابر التهريب بشكل نهائي؛ ويؤكد عدد من المصادر المحلية بأن المهربين سيعاودون أنشطتهم المعتادة بتهريب المحروقات إلى مناطق نظام الأسد مرة أخرى.

فيما يخص تجارة النفط وتهريب المحروقات في الجزيرة السورية عموماً، تختلف أولويات وأهداف كل من التحالف الدولي/الأمريكيين والإدارة الذاتية/قسد؛ إذ تشكل عائدات تجارة النفط في الجزيرة السورية العصب الاقتصادي الحيوي للإدارة الذاتية لتمويل رواتب موظفيها وعناصرها العسكريين بشكل أساسي، بعد أن كانت قد عقدت اتفاقات غير معلنة مع نظام الأسد لتزويده بالنفط الخام عبر شركة القاطرجي، الأمر الذي يعتبر خرقاً للعقوبات الأمريكية المفروضة على نظام الأسد. كذلك تفيد قسد من تجارة النفط وتهريب المحروقات في خلق توازنات محلية، اجتماعية وعسكرية، بما يخدم سياستها في المناطق ذات الأغلبية العربية، حيث تعتمد على منح امتيازات للشبكات الاجتماعية المحلية من خلال استثمار النفط وتجارة المحروقات والتهريب لضمان استقرار سلطتها وإدارتها.

بينما يركز التحالف الدولي في استراتيجيته على محاربة تنظيم داعش بشكل أساسي، واقتصرت تدخلاته السابقة في ملف النفط على إجراءات رمزية ضد معابر تهريب المحروقات إلى مناطق نظام الأسد دون التدخل في تجارة النفط الخام والمحروقات عبر المعابر البرية ما بين الإدارة الذاتية ومناطق نفوذ النظام.

أما اليوم، فيأتي إيقاف تجارة المحروقات ما بين مناطق الإدارة الذاتية ومناطق نظام الأسد في سياق مغاير تبدلت خلاله استراتيجية الأمريكيين في الجزيرة السورية بعد قرارهم البقاء في المنطقة لحماية آبار النفط فيها، ومنع تنظيم داعش ونظام الأسد الاستفادة من هذه الموارد، وكذلك ضبط النفوذ الدولي الجديد المتمثل في التواجد الروسي والإقليمي التركي في الجزيرة السورية، إضافة إلى استخدام ورقة الموارد النفطية للضغط على نظام الأسد وحلفائه لقبول مطالب الأمريكيين في التسوية السياسية في سوريا مستقبلاً. ولهذا أعادت القوات الأمريكية انتشارها في المنطقة، وأنشأت قواعد عسكرية قرب حقول النفط فيها كخطوة أولى، من ثم بدأت بخطوات إيقاف تجارة النفط وتهريب المحروقات إلى المناطق النظام ومنطقة "درع الفرات".

بالطبع لا يخفى على أحد أن حملات المداهمات ضد المعابر تحدث بناء على أوامر من التحالف الدولي، لكن الجديد في حملة المداهمات الحالية أنها تأتي بالتزامن مع إغلاق معابر التجارة البرية الذاهبة من مناطق الإدارة الذاتية إلى مناطق سيطرة النظام عبر معبري الطبقة والصالحية، والأخرى إلى درع الفرات عبر معبر أم جلود. وقد أبلغت قسد التجار وسائقي الصهاريج بإيقاف تجارة النفط الخام والمحروقات عبر هذه المعابر، وتمركزت القوات الأمريكية داخل وبجانب حقول وآبار النفط في دير الزور والحسكة، وتسير دوريات داخل بعضها، ما يرجح أن نية الأمريكيين تذهب باتجاه حرمان إدارة قسد من الاستحواذ على ملف إنتاج النفط، إلى جانب المراقبة التي تفرضها القوات الأمريكية على عمليات تجارة النفط والمحروقات ما بين مناطق الإدارة الذاتية ومناطق النفوذ الأخرى.

ليس من الواضح حتى الآن، ما إذا كان إغلاق المعابر البرية أمام تجارة النفط والمحروقات سيكون مؤقتاً أم لا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى معابر تهريب المحروقات في دير الزور. ولكن على الرغم من أن بعض المراقبين -التي تؤيدهم التسريبات- يرجحون أن الأمريكيين يسعون لعقد اتفاقيات جديدة تخص تجارة النفط مع مناطق النفوذ التركية في رأس العين وتل أبيض ودرع الفرات دون سواها، فإنه من المؤكد أن الوضع الجديد لإدارة الموارد النفطية في الجزيرة السورية سيؤدي إلى تغييرات في شكل وطبيعة تجارة النفط فيها، وسيكون له تداعياته على الإدارة الذاتية أولاً، وعلى المجتمعات المحلية ثانياً، وعلى الوجود الروسي الذي لن تقف مكتوف اليدين، فالقصف الروسي الذي استهدف موقع مصافي تكرير النفط في منطقة درع الفرات يظهر كرد فعل أولي على ذلك.

مناولة لأحد العبارات النهرية أثناء تهريب النفط

هيئة تحرير الشام تقيم منظومة اقتصادية واسعة في مناطق سيطرتها

سامر الأحمد

بقضائها على حركة نور الدين الزنكي، تمكنت "هيئة تحرير الشام" من استكمال بسط سيطرتها العسكرية على ما تبقى من الشمال الغربي لسورية (عدا ريف حلب الشمالي الذي يخضع لنفوذ قوات الجيش الوطني تحت إشراف تركي)، وباتت تتسلم الإدارة المالية والاقتصادية لمحافظة إدلب وما حولها التي تشكل الجيب الأخير للمعارضة في سوريا.

ورغم المواجهات العسكرية العنيفة المتواصلة مع قوات النظام، نجحت هيئة تحرير الشام بالإمساك بقوة بالحركة الاقتصادية في هذه المنطقة التي يعيش فيها أكثر من ثلاثة ملايين شخص، فسيطرت على المعابر التي تدر أموالاً طائلة، واحتكرت تجارة المحروقات والتغذية بالانترنت، حتى وصل بها الأمر إلى الاستثمار في قطاع المطاعم.

تجارة المحروقات المربحة

استغلت هيئة تحرير الشام أزمة الغاز المستفحلة على خلفية عملية "غصن الزيتون" ربيع العام 2018، لتحصل على عقد مع تجار أتراك يقضي باستيراد مادة الغاز المسال والبنزين والديزل من تركيا عبر معبر باب الهوى. وهكذا أعلن عن تأسيس شركة "وتد للبترول" التي تنفي تبعيتها للهيئة، في حين أن مصادر مجلة عين المدينة تؤكد أنها إحدى أهم شركات الهيئة في إدلب، وقد تمكنت تدريجياً من الاستحواذ على أكبر تجارة رائجة ومربحة في المنطقة وهي تجارة المحروقات.

لا بد من الإشارة هنا، إلى أنه قبل تأسيس "وتد للبترول" كانت المحروقات من بنزين ومازوت وغاز، تدخل من مناطق النظام عبر معبر أبو دالي الذي يقع في أقصى الجنوب الشرقي من محافظة إدلب، لكن النقص الكبير في هذه المواد الذي بات يعاني منه النظام أوقف تمريرها إلى المنطقة.

وبعد الإعلان عن قيامها، بات الغاز يأتي من تركيا عبر صهاريج ويضغط في معامل خاصة بالشركة في مدينة سرمدا الحدودية، ثم يوزع إلى كافة أرجاء المحافظة في جرار زرقاء اللون بتسعيرة موحدة تعتمدها الشركة. وهذا ما يحدث تماماً بالنسبة إلى مادتي المازوت والبنزين.

أدت هذه الخطوة إلى تقلص أزمة المحروقات التي كانت شبه متواصلة، كما ساهمت في استقرار الأسعار التي كانت ترتفع لعدة أضعاف خلال الأزمات السابقة. لكن وجود شركة واحدة تدير استيراد مثل هذه المواد الهامة لم يؤدِ إلى انخفاض الأسعار -وإن بقيت مستقرة- نتيجة غياب المنافسة، كما لم يتح لهذه الشركة تلبية كل ما يحتاجه السوق من غاز مثلاً، خصوصاً عند حدوث نقص في مادة الديزل المكرر بشكل بدائي التي يعتمد عليها السكان في التدفئة، ما يضطرهم إلى الاعتماد على مادة الغاز كحل بديل.

المعابر والذهب الأسود

في شتاء العام 2019 نشب قتال عنيف في ريف حلب الغربي بين قوات "حركة نور الدين الزنكي" -التي كانت تسيطر على هذه المنطقة- وقوات تحرير الشام، رغم التحالف الذي قام بينهما لفترة من الزمن. وانتهت هذه المعارك بهزيمة قوات الزنكي التي أجبرت على الانسحاب إلى مناطق الجيش الوطني في عفرين. ولم يؤدِ ضرب الزنكي إلى تحقيق نجاح عسكري للهيئة فحسب، بل مكنها من السيطرة على معابر استراتيجية كانت تديرها الزنكي، وأهمها معبر الغزاوية-دارة عزة الذي يقع بريف حلب الغربي، ويربط بين أماكن سيطرة تحرير الشام والمناطق التي يديرها الجيش الوطني. ومن هذا المعبر بالذات وسعت شركة "وتد للبترول" تجارتها لتشمل إضافة للمحروقات المستوردة من تركيا، تجارة المحروقات المكررة بدائياً التي تمر من مناطق "قوات سوريا الديموقراطية" (قسد) شرقي الفرات نحو منبج ثم جرابلس،

الصورة تعبيرية

لتعبر أخيراً حاجز تحرير الشام على معبر دارة عزة ومنه نحو إدلب.

ولم يمر احتكار الهيئة لتجارة المحروقات المحلية مرور الكرام لدى تجار المحروقات في المنطقة، الذين تضررت تجارتهم بعد أن غدت بيد جهة واحدة تتحكم بالأسعار والكميات والأصناف الممررة عبر المعبر. خلال سيطرة حركة الزنكي كان بإمكان التجار إدخال بضائعهم عبر معبر دارة عزة دون أي متاعب، لكن في عهد تحرير الشام باتت جميع صهاريج المحروقات تدخل عبر شركة "وتد" ثم تفرغ في المخازن والمحطات التابعة لها، وعلى جميع التجار التعامل مع الشركة لشراء المحروقات بالأسعار والكميات التي تحددها وحدها.

يقول أحد تجار المحروقات لعين المدينة مفضلاً عدم الكشف عن اسمه "حتى عملية تسليم ثمن البضاعة لها إجراءات معينة، فعلى التاجر دفع المال لبنك شام التابع للهيئة ثم يستلم بضاعته من أرض الشركة". ويقول بعض هؤلاء التجار أنه عند حدوث أزمة ما في المحروقات المستوردة، كتقلص الكمية من المصدر التركي، تمتنع "وتد" عن البيع للتجار عدا التجار المحسوبين عليها.

واشتكى ثلاثة من تجار المحروقات في حديث مع عين المدينة من هذه الطريقة في التعامل، خصوصاً خلال فترات النقص. وقال أحدهم "الشركة توزع المازوت أو البنزين أو الغاز لمحطاتها فقط أو لتجار محسوبين عليها، بينما تحظر علينا شراء أي كمية من المحروقات حتى ولو كانت قليلة". ويوضح التجار الثلاثة أن الإجراء نفسه يطبق عند إغلاق معبر أم جلود-الحمران الذي ينقل الوقود بين منبج التي تقع تحت نفوذ قسد وجرابلس التي يديرها الجيش الوطني المدعوم من تركيا. ويوضح أحدهم أنه في هذه الحالة "تكون الكلمة الفصل للمستفيد من الواسطات والمحسوبيات ولا يحصل على المحروقات سوى جماعة الهيئة".

ولا يبدو أن المحروقات توزع على كل المناطق بالتساوي، بل يخضع الأمر أحياناً لاعتبارات عدة أهمها خضوع عملية توزيع المحروقات لمدى تغلغل الهيئة وذراعها المدني المتمثل بحكومة الإنقاذ في منطقة ما، وهذا ما ينعكس سلباً على الواقع المعيشي للسكان. ففي إدلب مثلاً التي تكثف فيها الهيئة وجودها، أقامت "وتد" أربع محطات لتوزيع البنزين، وهي محطات "الأفندي" و"السعد" و"خيرات الشام" و"المدينة"، ما جعل البنزين يتوفر بسعر مقبول. بينما تعتبر هذه المادة الحيوية من ضمن المواد المفقودة في مدينة بنش القريبة -خلال الأزمة الراهنة- بسبب عدم توفر أي محطة بنزين تابعة للشركة في المدينة.

وفي بلدة الفوعة توقفت عن العمل المولدة الكهربائية التابعة لأحرار الشام التي تؤمن التغذية الكهربائية لقسم كبير من المدينة لقاء اشتراكات شهرية محددة، في حين لا تزال مولدة مماثلة تابعة لهيئة تحرير الشام في المدينة تعمل يومياً لمدة ساعتين ونصف ساعة. والسبب كما يقول سكان تحدثوا لعين المدينة أن "الهيئة تحصل على الديزل من شركة وتد بكميات لا بأس بها، أما أحرار الشام فلا علاقة لها بشركة وتد وهذا ما جعل وصول هذه المادة إليها أمراً بالغ الصعوبة".

الإنترنت التركي الضوئي

تعتبر مسألة احتكار الإنترنت الضوئي الذي يستجر من تركيا عبر أكبال تحت الأرض ويبث في إدلب بواسطة نواشر خاصة، إحدى القضايا الساخنة بين السكان ومشغلي الإنترنت في الوقت الراهن.

وكما فعلت هيئة تحرير الشام في قطاع المحروقات عبر تأسيس شركة وتد للبترول، أطلقت في تشرين الثاني الماضي شركة (syr connect) التي احتكرت شبكة النت الضوئي، بعد أن قامت بعمليات حفر وتوصيل كابلات من تركيا إلى المناطق الحدودية مثل سرمدا وكفرتخاريم. وطلبت حكومة الإنقاذ الذراع المدني للهيئة من المئات من أصحاب شركات الانترنت المحلية الاشتراك في النت الضوئي التابع للشركة، متوعدة بالمساءلة القانونية لمن يمتنع عن العمل معها.

ويتخوف عدد من مشغلي الانترنت في إدلب في حديث لعين المدينة، من احتمال رفع الأسعار ومراقبة اتصالات السكان ما دام هذا القطاع بيد جهة واحدة

أحد المستقبلات للإنترنت

تابعة لهيئة تحرير الشام. لكن عدداً من السكان في اتصال مع عين المدينة أيضاً، اعتبروا هذا الإجراء "خطوة في الطريق الصحيح لنشر النظام والقانون بعيداً عن الفوضى السابقة".

المطاعم.. استثمار جديد

بعد أن تمكنت من ادخار احتياطي نقدي كبير، دخلت هيئة تحرير الشام قطاع المطاعم الذي يشهد حركة استثمارية نشطة في مدينة إدلب وعشرات البلدات والمدن في كل من الريفين الشرقي والشمالي للمحافظة، لأن هذه المناطق بعيدة نسبياً عن العمليات العسكرية للنظام.

ويبدو أن هذا الازدهار دفع مطلع السنة الحالية تنظيم الدولة الإسلامية إلى توجيه ضرباته إلى هذا القطاع، فقام عنصر تابع له بتفجير نفسه في مطعم "فيوجن" وسط مدينة إدلب الذي أسسته الهيئة كجزء من منظومة المطاعم التابعة لها في المحافظة.

وخلال العام الحالي تأسست عدة مطاعم كبيرة في مدينة إدلب تميزت ببذخ غير مسبوق وسط أجواء الحرب القائمة، شملت البناء والديكورات ومعدات العمل. ونقل سكان في المدينة أن أحد هذه المطاعم اشترى ثلاث ماكينات لقلي الدجاج على الطريقة الغربية بلغ سعر إحداها 18 ألف دولار. بينما دفع مطعم آخر مبلغ 70 ألف دولار لكسوة المكان فقط.

ويؤكد أصحاب هذه المطاعم أنهم مستثمرون محليون لا علاقة لهم بأي فصيل، لكن مصادر من داخل الهيئة أكدت لعين المدينة دخول الهيئة كشريك مع معظم أصحاب هذه المطاعم التي تنتشر في مدينة إدلب وسرمدا والدانا وغيرها من المدن.

المعابر.. شريان اقتصادي حيوي

بعد معاركها الدامية مع حركة أحرار الشام في تموز 2017 ونيسان 2018، تمكنت هيئة تحرير الشام من السيطرة على أكبر معبرين بين إدلب والخارج: معبر باب الهوى الذي يصل بين تركيا وإدلب، ومعبر مورك شمالي حماة الذي يصل بين إدلب ومناطق النظام. وتمكنت الهيئة بعد إدارة هذين المعبرين من الاستحصال على كميات هائلة من الرسوم التي تفرضها على مئات الشاحنات المحملة بالبضائع التي تنتقل يومياً بين إدلب وتركيا من جهة وبين إدلب ومناطق النظام من جهة أخرى.

واكتملت سيطرة الهيئة على المعابر بعد القضاء على حركة نور الدين الزنكي، فأمسكت بمعبري العيس والمنصورة الواقعين بين ريف حلب الجنوبي ومناطق النظام، كما بات معبر دارة عزة الذي يصل بين ريف حلب الغربي وعفرين في قبضة الهيئة. ولم تكتف الهيئة بإدارة المعابر، بل لجأت إلى وضع يدها على التجارة الخارجية، لاسيما عمليات تمرير شاحنات البضائع من تركيا.

يقول أحد التجار لعين المدينة "يصعب جداً استيراد بضائع من تركيا نحو إدلب، مع العلم أن الهيئة لا تحظر ذلك، لكنها بدخولها عمليات الاستيراد بمبالغ ضخمة تحول دون التمكن من منافستها في هذا المجال". ويتساءل هذا التاجر قائلاً "من يتجرأ على شراء كمية من لحم الفروج التركي مثلاً بعشرين ألف دولار، بينما يوجد في السوق من يمرر شاحنات من هذا اللحم بمئات آلاف الدولارات؟!". ويتابع "من يضخ في السوق كميات أكثر يتحكم بالأسعار، وهنا لا مجال لنا نحن التجار الصغار لجني أرباح معقولة ومقبولة".

وفرت هذه المعابر دخلاً إضافياً للهيئة يضاف لدخل المعابر السابقة. ولا يمكن معرفة حجم هذا الدخل على وجه الدقة بسبب عدم وجود كشوف حسابات علنية تفصح عنها الهيئة في هذا المجال.

تمكنت هيئة تحرير الشام من إقامة منظومة من النشاطات الاقتصادية أتاحت لها جمع رسوم ومكاسب كبيرة تستخدم جزءاً منها في رفد المشافي والمؤسسات الخدمية والمجالس المحلية عبر حكومة الإنقاذ، لكن الأخيرة تفرض ضرائب على العديد من الخدمات مثل النظافة والمتاجر والبسطات التجارية والصيدليات. كما أن السكان مقتنعون بوجود أموال طائلة في خزينة الهيئة لا تنفق على البنى التحتية للمحافظة مثل تزفيت الطرقات التي لا تزال في حالة مزرية، وهو ما يقابل باستياء غير معلن من قبل السكان.

المزاح والنكات في الشمال السوري وسيلة لتحدي مرارة الوضع الصعب

سونيا العلي

بعدسة الكاتب - إدلب

هل بقي من مكان للمرح والضحك والمزاح لدى السوريين في ظل الحرب وما يرافقها من قتل وتدمير وتهجير؟ في إدلب لا يزال الأهالي يلجأون إلى المزاح والضحك لتسهيل تحمل الواقع الصعب من قصف وتشرّد وانقطاع للخدمات الأساسية، فيتداولون النكات التي تولد من معاناة يومية يعيشونها ويضحكون، علّهم يخفّفون بذلك من معاناتهم المستمرة.

على وقع أصوات الصواريخ والبراميل المتفجرة يجلس الحاج أبو علي مع أصدقائه أمام باب محله التجاري في سوق مدينة معرة النعمان يشربون الشاي، ويراقبون حركة الطيران، ويتبادلون النكات والمزاح، ويطلقون الضحكات علهم يبعدون شبح الخوف الذي يخلفه القصف ووطأة النظام المستبد. عن ذلك يقول الحاج علي: "نحاول انتزاع الضحكة حتى في أقسى الظروف، وتتنوع الأحاديث والنكات لدينا لتشمل الحياة والثورة والإعلام والمؤيدين والمعارضين والمندسين على حد سواء"

ويتابع ضاحكاً: "براميل الموت عم تنزل، أما براميل المازوت عم تطلع في هذه الأيام"، في إشارة إلى ارتفاع أسعار المحروقات، قبل أن يضيف مقهقهاً: "في العيد ينتظر الأطفال السوريون ماما نويل لأن بابا نويل استدعي للاحتياط".

وبعد أن خرجت النكتة السورية من الهمس السري لتصل إلى ما يشبه الصراخ المدوي على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، حطمت كل المحرمات السياسية والمحظورات الأمنية، لتصنع ضحكة جديدة قوية وحقيقية ومعافاة، تحمل العديد من المضامين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعبر عنها بطريقة ساخرة. وأمام العجز عن إيجاد الحلول لمشاكلهم اليومية المعلقة التي تدفع بهم إلى حالة من الانكسار والإحباط، بات بإمكان السوريين في المناطق الخارجة عن سلطة النظام في شمال سوريا أن يستهدفوا بصوت عال الحاكم وعائلته عبر نكاتهم بدلاً من الهمس بها كما كان يحصل في السابق.

ولطالما ارتبطت الطرافة وخفّة الدم قبل بدء الثورة السورية بالنكات التي كان أبطالها "حماصنة"، ومع الوقت بدأ الحماصنة أنفسهم بتأليف النكات والمواقف الطريفة عن أنفسهم. لكن الأمر اختلف بعد الثورة، ولم تعد نكات الحماصنة الأكثر تداولاً بين السوريين، وإن كانت لم تغب تماماً. ففي مديح بطولاتهم يستعيد الحماصنة نكتة تقول "سئل حمصي عن نسبة البطالة في مدينة حمص، فأجاب: لا أدري بالضبط، لكن ما أعرفه أن الحماصنة كلهم أبطال."

كذلك في المخيمات، رغم صعوبة الحياة وضيق العيش وانعدام الخدمات يحاول النازحون أن يتحدوا واقعهم بالضحك وإطلاق النكات، والسخرية من مرارة الواقع.

رامي السيد تهجر من مخيم اليرموك في شهر أيار 2018، وانتقل للعيش في مخيم دير بلوط بريف عفرين حيث يعاني الكثير مع غيره من الشبان بسبب انسداد فرص العمل بوجهه وتردي وضعه المعيشي، لذلك يحاول أن يتخيل أنه موجود في مكان مختلف مثل كندا التي يحلم أي شاب بالهجرة إليها. يقول عن ذلك لعين المدينة "بأسلوب ساخر وسلس وقريب من القلب أحاول أن ألقي الضوء على ما نعيشه من معاناة نتيجة النزوح وانعدام الخدمات داخل المخيم، من خلال ما أنشره على صفحتي الشخصية على الفيسبوك لعرض المضحك المبكي، حيث أسمي المخيم الذي أعيش فيه (دير كندا) بدلاً من دير بلوط، وأنشر تصرفات أطفال المخيم المضحكة التي تصور براءتهم المحببة، وطفولتهم الضائعة بين الخيام، ومداعبتهم للخروج بهم من جو الحرب والتعقيد".

كذلك قامت مجموعة من الفنانين بتصوير مسلسل كوميدي في مدينة إدلب بعنوان "يوميات العيلة"، عبارة عن مسلسل من تأليف وإخراج عبود الشامي، يتم عرضه في موقع الفيسبوك على صفحة الفرقة السورية للفنون المسرحية، يحكي المسلسل عن شابين يشتكيان من حظهما العاثر في هذه الدنيا، ويواجهان مصاعب كبيرة، كعدم توافر فرص العمل وضيق ذات اليد.

عبود الشامي مخرج هذا المسلسل يقول عن عمله "المسلسل يناقش عدة قضايا منها غلاء البيوت، وغلاء المعيشة المترافقة مع ارتفاع سعر صرف الدولار في المنطقة، والظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الأهالي، ونحن نريد إعادة الفن إلى الداخل السوري سواء المسرحي أو الدرامي". وأضاف "من العوامل التي شجعتني على القيام بهذه الخطوة، وجود نسبة من الشبان الموهوبين في المنطقة، لذلك نحاول أن نصنع شيئاً لعلنا نقدم رسالة هادفة للمجتمع بشكل عام".

وعن سبب اختيار الحس الكوميدي يقول المخرج الشامي: "الناس بحاجة إلى الضحك، وهي متعطشة له بعد أن بات حديثها مقتصراً على مآسي الحرب وتداعياتها، لذلك نحاول رسم الابتسامة والضحك على وجوههم عن طريق تصوير معاناتهم وهمومهم اليومية بطريقة ساخرة و مضحكة " .

ومن اللقطات المضحكة التي ذكرها الشامي، بحث الشاب موفق عن عمل خلال الحلقة الأولى دون جدوى، وسؤال أخيه له: "لقيت شغل إلا لقيت شغل!" في إشارة إلى ما يعانيه الشبان من ندرة فرص العمل في هذه الأيام، وما قالته الجدة وهي غاضبة منه: "تجيك مجية وحمة وبردية ويدقو راسك بالنملية، من بكرة لعشية." دون التعليق على السؤال عن موقف سلطات "هيئة تحرير الشام" من عمله في إدلب.

متداولة لقوات الفاغنر

هويات القتَلة في فيديو التوحش الروسي

الصحف الروسية المعارضة تكشف هويات مشاركين في فيديوهات التوحش الروسية في سوريا

د. علي حافظ

يقدم موقع "ميروتفوريتس" الأوكراني فيديوهات التوحش والعار الروسية بالكلمات التالية: "لفهم روسيا، نحتاج إلى مشاهدة أشرطة الفيديو هذه.. يجب على الجميع مشاهدتها، بما في ذلك الأطفال والنساء وكبار السن. يجب أن تعرض في المدارس، في فصول التاريخ، وعبر شاشات التلفزيون. يجب أن تبدأ الإصدارات الإخبارية بمقاطع الفيديو هذه".

مساء 30 حزيران 2017، ظهر شريط فيديو مخيف على شبكة الإنترنت، قامت فيه مجموعة من الأشخاص المسلحين، الذين يرتدون ملابس عسكرية متنوعة ووجوههم مغطاة، بضرب وتعذيب رجل مدني بوحشية مفرطة، حيث يلحق أحدهم ضربات على أطراف الضحية وجسمه بمطرقة حديدية، ورفاقه يركلونها ويدفعونها ويدوسنها ساخرين. وذلك على أصوات أغنية روسية. حسب ما جاء في تقرير محققي "فريق استخبارات الصراع (CIT)".

كذلك يشير المحققون إلى أن العملية تمت ضمن منشأة صناعية مهجورة في الصحراء السورية، وأن عناصر من "مجموعة فاغنر" هم بالضبط من قاموا بها: "أسلحتهم ليست جديدة.. والجزء الأكبر منهم لا يرتدون زياً رسمياً مموهاً، وهو أمر غير معهود بالنسبة لقوات العمليات الخاصة الروسية، التي تعمل أيضاً في هذه المنطقة من سوريا".

وأثناء عملية التعذيب هذه ضحكوا وسخروا وسمعوا الموسيقى وتحدثوا باللغة الروسية دون لكنة. ولوحظ على ساعد أحد العناصر شريطة قماشية مكتوب عليها "أنا فقط سأجعلك تتألم جداً، جداً". العبارة مأخوذة من الفيلم الهوليودي "الفرقة الانتحارية"، الذي تقوم فيه عميلة مخابرات أمريكية بإجراء صفقة مع سجناء خطرين جداً من أجل القتال ضد كائنات أخرى لم تستطع أجهزتها الرسمية القضاء عليها، مقابل تخفيض عقوباتهم وحصولهم على بعض المزايا، والذي عرض في روسيا آنذاك وترك تأثيراً كبيراً على المشاهدين هناك.

الصفقة التي جرت بين عصابتي "مجموعة فاغنر" وبشار الأسد تشبه إلى حد بعيد ما جرى الاتفاق عليه في هذا الفيلم؛ فـ "ربع الغاز والنفط المنتج في الأراضي التي تسيطر عليها داعش سيذهب إلى شركة يفغيني بريغوزين (فاغنر) المرتبطة بالكرملين، مقابل أن ترجعها إلى سيطرة بشار الأسد".

تشير الأغنية "أنا مقاتل من القوات الخاصة الروسية"، التي تظهر على خلفية المشاهد المروعة، إلى الحرب الشيشانية الروسية الأولى، التي شارك فيها العديد من المرتزقة الروس؛ وتحمل في مضمون كلماتها معاني عنصرية تحث على القتل والإجرام:

القرية تحترق..
والأم الشيشانية تهرب..
ولا تريد أن تعطيني الطفل؛
ألتقط البندقية الثقيلة من على كتفي،
آخذ الطفل وأقتل الأم.
أنا مقاتل من القوات الخاصة الروسية،
ولا يهمني شيء على الإطلاق،
أنا ذاهب للقتل،
والبندقية في يديّ...

لقد كتبتُ مقالاً عن مجموعة فاغنر هنا في مجلة "عين المدينة" (24-9-2017) حيث نشر الفيديو الصادم بقسوته ضمن المقال؛ إلا أنه لم يثر آنذاك ردود أفعال قوية وإدانة عالمية، ولكن في تشرين الثاني 2019، ظهرت تتمة للقصة على شبكة الإنترنت: الأجزاء الثلاثة التالية من الفيديو، والتي توضح ما حدث لاحقاً للشاب السوري المسكين.

في هذه الفيديوهات، يقع الشاب الذي أُصيب بمطرقة ثقيلة على الأرض فاقداً للوعي أو أقرب إلى الميت. يقوم أحد المشاركين في الجريمة بقطع رأسه، بينما يعلق آخرون مقدمين المشورة مع بعض الكلمات النابية: "قص، هيا أقوى! هيا، اكسر فقرات الظهر! هيا بالمجرفة!". يضيف أحد المشاركين بعد كسر يد الرجل بفظاعة "الجندي الروسي هو القوة"؛ ثم يتم تقطيع اليدين بمجرفة، ويوصي آخر: "اترك الساقين لأننا سنعلقه من القدمين". بعد ذلك يُعلق الجسم مقطوع الرأس والذراعين رأسًا على عقب، وقد كتبوا على بطنه "من أجل القوات المحمولة جواً"، ويصب عليه البنزين ويحرق؛ في حين يستمر المشاركون في الاستمتاع والصخب. تتم العملية ببطء وطقوسية سادية غريبة!

تمكنت صحيفة "جسر" الإلكترونية من تحديد هوية الضحية: "محمد طه إسماعيل العبد الله، المعروف أيضاً باسم حمادي الطه البوطه، من مواليد الخريطة في محافظة ديرالزور العام 1986، وكان يعمل في لبنان في مكبس لطوب البناء، واعتقل على الحدود أثناء عودته إلى البلاد في تموز 2017 ليساق للخدمة الاحتياطية في مطار التيفور.. ولم يعلم ذووه حينها أنه قادم لزيارتهم أو أنه اعتقل. كذلك أكدت الصحيفة الإلكترونية أن التسجيلات تمت في حقل الشاعر النفطي في بادية حمص والذي كان تحت سيطرة النظام وحلفائه الروس في تلك الفترة.

بعد أن تم تحديد هوية الضحية، قامت صحيفة "نوفيا غازيتا" (الجريدة الجديدة) بنشر تحقيق مهم كتبه الصحافي الشجاع دينيس كوروتكوف؛ وتحديد هوية أحد القتلة الروس رغم صعوبة العملية؛ إذ غطى جميع المشاركين في المذبحة وجوههم، ما عدا واحداً ارتدى زياً أخضر ولف رأسه بكوفية عربية وظهر في الأجزاء الأولى من الفيديو يحمل كاميرا. في بداية الجزء الرابع، تسمع كلمات شخص ما يقول: "تخفون الوجوه... حسناً، على أي حال، هذا الفيديو لن يذهب إلى أي مكان". والرجل مع الكاميرا ينزل الكوفية من على وجهه.

تقول الصحيفة: "لقد حملنا صورة الشخص الذي يحمل الكاميرا ويضع الكوفية العربية، من خلال خدمة FindClone، التي تتيح لك العثور على صورة الشخص في شبكة VKontakte الاجتماعية باستخدام صورة الوجه". ثم أضافت بأن الرجل في الكوفية يشبه ستانيسلاف د؛ وهو روسي خدم في الاستخبارات التابعة لـ "مجموعة فاغنر". لكنها أخفت الكنية لأسباب تتعلق بسلامة أسرة المرتزق. كذلك حصلت على نسخة من جواز سفره، واستمارة معبأة بخط اليد للخدمة في استخبارات فاغنر، ومذكرة عدم إفشاء معلومات وسيرة ذاتية. تم تعبئة الاستمارة في شباط 2016. ولكن، كما هو موضح، بحلول هذا الوقت كان يعمل بالفعل في "مجموعة فاغنر" كـ "مقاتل في قسم استطلاع".

لكن لم يطل الوقت كثيراً حتى تم الكشف عن كنيته: ستانيسلاف يفغينيفيتش ديتشكو مواليد 1990 إقليم ستافروبول. تم إقالة ستانيسلاف في كانون الثاني 2014 من جهاز الشرطة نتيجة سوء السلوك واستغلال المنصب وضبطه في حالة سكر. بعد ظهور الفيديو المشين أغلقت زوجته حسابها وأعادت كنيتها السابقة قبل الزواج.

القاتل الثاني المحتمل هو عسكري روسي سابق يبلغ من العمر 39 عاماً من منطقة بريانسك ويدعى روسلان. ذكر موقع "فونتانكا" البطرسبورغي المعارض: "تم التعرف عليه بسهولة من قبل دائرة واسعة من معارفه". ووفقاً لنفس المصدر، فإن رسلان قد سافر في رحلة عمل إلى دمشق على متن شركة الطيران السورية "أجنحة الشام للطيران".

تمكن الصحفيون من التحدث مع أصدقاء رسلان، الذين أكدوا أنه في عام 2017 سافر في رحلة عمل إلى سوريا، حيث زارها مرة واحدة وعاد في نفس العام. رسلان نفسه في محادثة هاتفية مع الصحفيين نفى رحلته إلى سوريا. وأضاف أنه يعمل الآن كمتطوع في مسابقات السياحة في قصر المحافظ للأطفال والإبداع الشبابي في بريانسك.

هناك صور لرسلان في الزي القوزاقي على الشبكات الاجتماعية، وهو يشارك في التدريب الوطني للشباب. لكن موقع "فونتانكا" أكد أنه في 11 كانون الثاني 2017، سافر شخص لديه جميع البيانات الشخصية لرسلان، إلى حيث تقع قاعدة تدريب عسكرية لـ "شركة فاغنر". في نهاية المحادثة الهاتفية، وعد رسلان إرسال آخر ثلاثة أرقام من جواز سفره، ولكن بعد ذلك قال بأنه "لا يعرف في أي مكان وضعته زوجته".

ذكرت صحيفة "نوفيا غازيتا" أنه في صفوف "مجموعة فاغنر" كان هناك ما لا يقل عن اثنين باسم "فولك" (الذئب). ومن المعروف أن تسمية "الذئب" تعود إلى المرتزق الصربي الشهير دافور سافيتشيتش، الذي قاد وحدة الاستخبارات في المجموعة. لكن الشخص الثالث المشارك في عملية التعذيب والقتل، والذي لُقب بـ "فولك"، كان المواطن فلاديسلاف أبوستول، الذي وُلد في 13 كانون الثاني 1988 في قرية تشوتوليشت التابعة لمنطقة فلوريشت. وكان الرجل يحمل الجنسية المزدوجة -جمهورية مولدوفا والاتحاد الروسي- وعاش في منطقة بيلغورود. وحسب معلومات جهاز الأمن الأوكراني فإن أبوستول قاتل مع "فاغنر"؛ لكنه قتل إلى جانب ثمانية مرتزقة آخرين في عام 2018 بالقرب من دير الزور أثناء قصف طائرة أمريكية.

في البداية حاول الكرملين النأي بالنفس والتنصل من القضية، حيث قال بيسكوف، المتحدث باسم فلاديمير بوتين، إنه لم يكن على دراية بالفيديوهات بعد، وأضاف أنها "ليست مسألة الإدارة الرئاسية"، مؤكداً أن ما حدث "ليس له أي علاقة بالعملية العسكرية الروسية في سوريا". لكن بعد نشر تحقيق صحيفة "نوفايا غازيتا" في 20 تشرين الثاني 2019، اعترف بيسكوف بأنه "تمكن من التعرف" على الصور ومقاطع الفيديو الخاصة بالانتقام من المواطن السوري، ووصفها بأنها "مروعة حقاً". وفقاً له، فإن الكرملين "لا علاقة له" بالأشخاص الذين ظهروا في الفيديو، ولا يرتبط الأشخاص في الفيديو بالجيش الروسي".

بعد كل ذلك لا يمكن التشكيك بالفيديوهات السادية الصادمة، لأنه تم إنتاجها من قبل المرتزقة أنفسهم. ما يجعل موسكو شريكاً مباشراً في هذه الجريمة، التي يمكن مقارنتها بفظائع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

حقيقة أن الكرملين هو المنظم والراعي والمشارك في ارتكاب جرائم في الشيشان وجورجيا وأوكرانيا وسوريا ودول أخرى لم يعد سراً، وهذه الفيديوهات الكابوسية تأكيد آخر على ذلك. عاجلاً أم آجلاً سيتم الكشف عن بقية السفاحين المشاركين في فيديوهات التوحش والعار الروسية، ما يجعل تقديم شكوى إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، على أنها جرائم منظمة ضد الإنسانية في سوريا، أمراً ضرورياً وملحاً وهاماً.

أحد القتلة المكشوف عن هويتهم

Kazuya Akimoto

"الزواج السري" في الشمال السوري بين التأييد والرفض

رند الشامي

نتيجة لظروف الحرب القاسية التي عانى منها الشعب السوري خلال السنوات الماضية كان لا بد للعديد من الظواهر الاجتماعية أن تطفو على السطح وتتحول من المستهجن إلى الاعتيادي. ظاهرة الزواج السري هي إحدى الظواهر التي انتشرت مؤخراً في الشمال السوري، ولم تكن لتلقى قبولاً لدى الوسط الاجتماعي لولا رحى الحرب الدائرة التي دمرت الحجر والبشر.

من المتعارف عليه سابقاً هو الرفض شبه المطلق لهذا الأمر، لما فيه من انتقاص من كرامة المرأة وعائلتها. لكن الظروف الاقتصادية المتدهورة لمعظم الناس بالإضافة إلى التشرد والنقص الكبير في تعداد الرجال مقارنة بالنساء جعلت عدداً من العائلات لا تتوقف كثيراً عند هذا الأمر، وتقبل بعدم الإفصاح عن زواج ابنتهم أمام عائلة الزوج أو على الأقل زوجته الأولى، إذ يكون الزواج السري في كثير من الأحيان زواجا ثانيا.

الآثار السلبية لهذا الزواج ترويه لنا مريم (28 سنة من بلدة حاس) من خلال تجربتها الشخصية: "مات زوجي الأول منذ خمس سنوات. وتشردت مع عائلتي أنا وطفلتي لنكون عبئاً إضافياً عليها. وعندما تقدم لي رجل ميسور الحال كان يعمل في منطقتنا -وكنت أعلم أن له زوجة وأولادا في بلدته في ريف دمشق- اشترط على عائلتي عدم إبلاغ زوجته الأولى بأمر الزواج حتى يأذن هو بذلك تجنبا لمشاكل محتملة له مع عائلته".

أضافت مريم "وافقت وعائلتي على هذا الشرط طالما أنه مؤقت وتفادياً للمشاكل التي يمكن أن تقع كما قال. وتم الزواج بعد أن استأجر لي منزلاً بالقرب من عائلتي في ريف ادلب وأمضيت معه ثلاثة أشهر كان فيها حريصاً على عدم إنجاب أي طفل مني. لكنه اختفى فجأة، حاولت الاتصال به مراراً دون جدوى إلى أن اتصل بي هو وطلب مني أن أنسى رقمه لأن زوجته الأولى وأولاده استطاعوا الوصول إلى ريف حلب وهو يسكن معهم الآن وطلقني على الهاتف، وطلب مني العودة إلى بيت أهلي. لم أستطع الذهاب إليه والمطالبة بحقوقي لأنني لن أستطيع الحصول على شيء إلا الشنطة والتعب"

بالمقابل ينظر أبو إبراهيم من ريف حماة الشرقي، إلى زواجه السري -سابقاً- من زوجته الثانية بإيجابية، وعن ذلك يروي لعين المدينة: "تعرفت على جد زوجتي الثانية من خلال عملي، ولدى زيارة منزلهم علمت أن له حفيدة يتيمة مات زوجها ووالدها خلال الحرب وهي أم لثلاثة أطفال، فلم أتردد في طلب يدها منه واشترطت عليه عدم إبلاغ زوجتي الأولى بالأمر. فلم يمانع الجد وأبلغ حفيدته بالأمر فوافقت هي أيضاً وتم الزواج، وبعد سنة من الزواج أصبح لدي طفل منها وكان لا بد من إبلاغ زوجتي الأولى بذلك. لم تتقبل الأمر في البداية لكنها استوعبت ذلك لاحقاً، وها نحن نعيش بدون أي مشاكل، أرعى ثلاثة أيتام وأعاملهم كما أعامل أولادي."

وفي استطلاع لآراء بعض السوريين في الشمال على معرفة بآثار الزواج السري من خلال اطلاعهم على حالات قريبة منهم، تقول أمل (35 سنة من كفرنبل): "هذا الزواج لا يضمن حقوق الزوجة الثانية في هذه الظروف، إذ يمكن للرجل ببساطة أن يترك زوجته الثانية ويعود إلى بلده وهي لن تستطيع الذهاب إليه لتحصيل حقوقها منه".

كما يعتبر محمد الأبرش (53 سنة نازح من حمص) أن الزواج السري : "أكبر غلط لأن أي شيء يحدث بالسر فهو غلط، ويؤدي إلى تشتت الأولاد وتفكك الأسرة. أما الإيجابيات فهي للرجل فقط، لكن من الممكن أن يشعر بالراحة في الفترة الأولى وبعدها تبدأ المشاكل التي تنتهي بالطلاق."

أما أسماء (42 سنة من حاس) فتقول: "أنا مع هذا الزواج لأنه يخفف من ظاهرة العنوسة ويؤمن الأوضاع المادية لبعض النساء الأرامل، وربما يكون بمثابة كفالة يتيم إذا كان لديها أطفال. أما بالنسبة إلى السلبيات فسينعكس هذا الزواج مشاكل على الزوجة الأولى (في حال كان الزواج الثاني)، وستقع مشاكل عائلية لكنها لن تكون كبيرة ولفترة مؤقتة ويمكن حلها."

وعن رأي الدين فيه، يقول الشيخ محمد صالح المدرس في جامع حاس الشمالي: "إشهار النكاح عند الإمام مالك مستحب، كما هو الحال عند الجمهور. عليه الصلاة والسلام قال: أعلنوا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف. فلو لم يعلن لم يؤثر ذلك على صحة النكاح، ولا يأثم تاركه. ولا إشكال في أن يكون هذا الإشهار عند العقد، أو قبل الدخول، أو بعده. والممنوع عند المالكية هو التواطؤ على كتمانه، وهذا هو نكاح السر ولو شهد فيه جماعة مستكثرة"

ويقول القاضي د. محمد نور حميدي من سلقين: "من الناحية الشرعية صحيح أنه إذا تحققت شروط الزواج وإشهاره فهو أمر مستحب. لكن من الناحية القانونية يشترط موافقة الزوجة الأولى، وكان يستعاض عن هذا الأمر أحياناً بجلب شهود تؤكد قدرة الزوج على الإنفاق. وحتى هذا الأمر لا يطبق إذا حصل حمل حيث يحضر الزوج تقريراً طبياً بوجود الحمل أو في حال حدوث ولادة"

الجنوب السوري: النظام يحرم السكان من الخدمات والتعليم

حسين الخطيب

يواجه سكان محافظة درعا الذين أجروا تسويات مع حكومة النظام السوري تهميشًا في شتى الجوانب الحياتية نظراً لمواقفهم ومعارضتهم السابقة للنظام. وتسبب هذا التهميش بتراجع مستوى التعليم والخدمات الحياتية مثل الكهرباء والماء، الأمر الذي تفاجأ به السكان الذين اعتقدوا أن عودة النظام ستعيد المؤسسات الخدمية بشتى اختلافاتها للعمل من جديد.

النظام يسعى إلى حرمان الجنوب السوري من التعليم

المدرس ر.م، كان يعمل ناشطاً إغاثياً أثناء سيطرة المعارضة السورية على الجنوب السوري، وعندما قدم طلبًا لإعادته إلى ملاك وزارة التربية والتعليم في حكومة النظام، تفاجأ بقرار بفصله استناداً إلى تقرير كتبه أحد المقربين من حزب البعث ورفعه للأمن السوري، تضمن معلومات عن النشاط الذي كان يقوم به أثناء سيطرة المعارضة على مناطق واسعة من الجنوب. وقال المدرس ر.م لعين المدينة: "قرار الفصل لم يعد يهمني، فالراتب الذي كنت سأتقاضاه من التربية لا يتجاوز دولارات قليلة، ولا يكفي سوى لتغطية نفقات أيام معدودة من الشهر".

ويؤكد العديد من سكان الجنوب السوري أن وزارة تربية النظام فصلت مع بداية العام الدراسي المئات من المعلمين والمعلمات الذين عملوا سابقاً في مؤسسات التربية التابعة للحكومة السورية المؤقتة، أو نشطوا في المجال الإغاثي، أثناء سيطرة فصائل الثوار والمعارضة على هذه المنطقة. إلا أن عدداً صغيراً منهم نجح بالعودة الى العمل معتمداً على وساطات ومبالغ مالية دفعها إلى عناصر من حزب البعث الذين يتحكمون بالملف التعليمي.

وفي حديث مع عين المدينة قال أحمد المجاريش، والذي يعمل ناشطاً إعلامياً في توثيق انتهاكات النظام في الجنوب ويقيم في الأردن: "إن حكومة النظام منذ إعادة سيطرتها صيف العام الماضي على محافظة درعا لم ترمم المدارس التي دمرتها طائرات النظام أثناء سيطرة المعارضة". وأضاف: "أمام هذا الإهمال للملف التعليمي من قبل النظام قام الأهالي بمبادرات محلية ساهمت في إعادة بعض المدارس المتضررة بنسب قليلة إلى العمل".

وقال مصدر محلي من ريف درعا لعين المدينة أنه أمام هذا النقص الفادح في التجهيزات اللازمة للمدارس، وصل الأمر بعدد من الأهالي في قرى وبلدات في ريف محافظة درعا إلى فرش الصفوف الخاوية بسجاد قاموا بشرائه عوضا عن المقاعد، لتمكين التلامذة من تلقي التعليم.

وأضاف المصدر يبلغ عدد المدارس التي تصلح للعمل في محافظة درعا 540 مدرسة، بينما يوجد نحو 400 مدرسة أخرى خارجة عن الخدمة أو غير صالحة للعمل، فحاول الأهالي تجهيزها وترميمها بالحد الأدنى لضمان عدم ضياع مستقبل أبنائهم. وأكد المجاريش في هذا الإطار أن الأهالي استعانوا ببعض رجال الأعمال وأقارب لهم يعملون في دول الخليج لتأمين مبالغ مالية استخدمت في ترميم وتجهيز المدارس. وأنهى كلامه بالقول "إن وزارة التربية في حكومة النظام لم تقدم على أي خطوة لإعادة تأهيل المدارس المتضررة".

وفي حديث مع عين المدينة قال الناطق الرسمي باسم "تجمع أحرار حوران" أيمن أبو نقطة المقيم في تركيا: "النظام يسعى إلى اغفال الجانب التعليمي في الجنوب، لتسهيل تحقيق أجندات ميليشيات في المحافظة". وتابع موضحاً "المنطقة تتعطش للتعليم، وأمام عجز المدارس الحكومية عن تلبية حاجات السكان في هذا المجال، سيكون من السهل فتح مدارس خاصة تخدم المذهب الشيعي الذي تكرس إيران كامل جهودها لنشره" محذراً من أن "هذه العملية ستدمر جيلاً كاملاً في الجنوب".

الخدمات.. محاولات النظام لنهب المعارضين

محمد كريم (اسم مستعار) من ريف محافظة درعا، تعرض منزله لقصف الطائرات الحربية التابعة للنظام في عام 2013، ولما عادت السيطرة لقوات النظام على هذه المنطقة طالبته شركة الكهرباء في بلدته بدفع متأخرات من الرسوم عن سنوات عدة بلغت قيمتها نحو 400 ألف ليرة سورية. وقال محمد كريم لعين المدينة: "الكهرباء قطعت منذ سنوات عن منزلي، وهذا المبلغ ليس سوى عقاب لي لأنني أجبرت على ترك المنزل بعد تعرضه للقصف". وأضاف: "حكومة النظام لا تؤمن الخدمات داخل المحافظة. كانت أفضل خلال سيطرة المعارضة". وما يحصل بالنسبة إلى الكهرباء يحصل بالنسبة للماء أيضاً، ولا يتم إعادة وصل هاتين الخدمتين إلا بعد دفع تراكمات فواتير تعود لسنين عدة.

وقبيل سيطرة قوات النظام على الجنوب السوري كانت العديد من المنظمات المحلية والأجنبية تغطي الجانب الخدمي كترميم المدارس والمؤسسات الخدمية كشبكات الصرف الصحي والماء والكهرباء، إلا أنها انعدمت الآن، لذلك جاءت الخدمات في ظل سيطرة النظام المنهار اقتصاديًا سيئة للغاية.

وقال أبو نقطة: "النظام يدعي أنه يقدم خدمات في درعا إلا أنها مبادرات شعبية بتمويل محلي من الأهالي والمغتربين". وأضاف: "الأهالي في بلدة داعل وحدها جمعوا نحو 16 مليون ليرة سورية لإصلاح شبكة الكهرباء المتضررة من قصف قوات النظام"، موضحاً "أن النظام يجبر الأهالي على دفع فواتير الكهرباء والماء، التي لم يحصلوا عليها أثناء سيطرة المعارضة على الجنوب السوري".

وتتوزع السيطرة في محافظة درعا على خليط واسع من الأجهزة الأمنية والفرق العسكرية والميليشيات السورية وغير السورية. فهناك حواجز عديدة تابعة للمخابرات الجوية وللفرقة الرابعة ولأمن الدولة، وهناك ميليشيات سورية تعمل لحساب إيران، في حين ينتشر عناصر ميليشيا حزب الله اللبناني في منطقة اللجاة بين محافظتي درعا والسويداء، حيث أقاموا قواعد عسكرية ومراكز تدريب وتجنيد.

أما الميليشيات الموالية لروسيا فأبرزها الفيلق الخامس والأمن العسكري، وتنتشر هذه الميليشيات في الريف الشمالي الشرقي من محافظة درعا، بينما توجد مناطق خالية من قوات النظام والميليشيات الموالية له ويسيطر عليها عناصر التسويات، كبلدة طفس في الريف الغربي ودرعا البلد..

إحدى المدارس في درعا

الطب النفسي للسوريين في تركيا.. رحلة المستحيل

آلاء عوض

تعتقد سرّاء ابنه الـ 23 ربيعاً، وتعيش في مدينة إسطنبول التركية منذ عامين، أنها بحاجة لعلاج نفسي، لأنها تعاني من نوبات حزن واكتئاب، وأحياناً غضب وانفعال مبالغ به دون أسباب وجيهة، كما أنها تشكو من أرق ليلي مزمن، لكنها لا تعرف إلى أين تتّجه، فهي تلاقي صعوبات أثناء بحثها أو مراجعتها لطبيب صحة عامة، فكيف الحال بأمر إيجادها طبيباً نفسياً تستطيع أن تشرح له ما مرّ بها من أزمات ليفهم حالها ويشخّص مرضها.

سرّاء وهي امرأة سورية من ريف دمشق، تزوجت منذ سبعة أعوام ولديها ولدان، تعرضت منذ اندلاع الثورة لأحداث فادحة شأنها شأن عدد كبير من النساء السوريات، كما أنها اضطرت إلى النزوح مرات عديدة، وفي كل مرة كانت تنزح فيها أو تتعرض لظروف قاهرة كانت تنهار قواها النفسية، وتخسر بعضاً من طاقتها وروحها، وفق وصفها، إلى أن آل بها الأمر إلى حالة مزمنة من الاضطراب والإحباط والاكتئاب "والنكد المتصل" وفق تعبير لزوجها.

انعدام التأثير!

ينشط في بعض المدن التركية عدد من الجمعيات والمنظمات الأهلية السورية التي تحاول تقديم الدعم الاجتماعي للسوريين، وجزء من هذه المؤسسات تقدم خدمات الدعم النفسي وإعادة التأهيل للفئات المتضرّرة، ومنها ورشات الدعم النفساني والاجتماعي للأيتام والأرامل، لكن هذه الورشات وعلى الرغم من فعاليتها بعض الأحيان، إلا أنها لا تقدم حلولاً ناجعة للمتضررين الفعليين، وهي لا تتجاوز تقديم نشاط/ لقاء فيه نوع من التسلية والإشغال، أو المشورة والتوجيه الكلامي من قبل المرشدين المخولين، لكن "مخولين هنا لا تكون دائماً دقيقة، فالعديد من العاملين في هذا المجال ليسوا مؤهلين، ولا يملكون الأدوات والمعلومات الصحيحة" وفقَ أخصائيين.

أما تقديم العلاج الدوائي فهو نادر، وليس سهلاً، وعدد الأطباء النفسيين والمعالجين المتعاونين مع الجمعيات التي يملك السوريين وصولاً لها قليل جداً في عموم تركيا.

سمير وهو شاب سوري حلبي في الثلاثين من عمره، يعيش في غازي عنتاب منذ أعوام أيضاً، وتعرّض لعمل جراحي خطير في دماغه، دخل بعده بحالة من الاكتئاب، الوهن العام والإحباط. حاول الذهاب إلى طبيب نفسي تركي، لكنه لم يتمكن من شرح وضعه ومخاوفه، وعندما استعان بمترجم شعر أنه غير قادر على وصف حالته بدقة ودخل نوبة أخرى من الخجل والاضطراب، جعلاه لا يثق بالتشخيص والدواء المعطى. لم يتناول الدواء وازداد وضعه سوءاً وهو حالياً حبيس المنزل، يتناول المهدئات بكثرة ولا يرغب بلقاء الناس، ينام أكثر من خمسة عشر ساعة يومياً ويخضع أيضاً لجلسات علاج فيزيائي بسبب تراجع أداء يده ورجله اليمنى إثر العمل الجراحي.

اللغة عقبة رئيسية

الطبيب النفسي عمار بيطار، طبيب سوري يعيش في تركيا، أوضح لعين المدينة بعض المعلومات المرتبطة بالطبابة النفسية في تركيا مؤكداً أنه "يوجد عيادة نفسية في معظم المستشفيات العامة التي تستقبل السوريين، ولكن المشكلة تكمن في عدم وجود الرابط بين المريض والطبيب، فالمترجمون لا يستطيعون إيصال الرسالة أو وجع المريض النفسي كما ينبغي، ولا يستطيعون التقاط المشاعر الواجب إيصالها، وهي هامة في الطب النفسي. على سبيل المثال: قراءة لغة الجسد والانفعالات"، مشيراً إلى أن "عدد الأطباء النفسيين في تركيا بشكل عام قليل"، واستشهد على ذلك بصديقه الطبيب النفسي التركي له، إذ يعمل في مستشفى خاص في غازي عينتاب يعاين نحو 20 مريضاً يومياً وهو رقم عدّه "كبير"، مؤكداً أن "استشارة الأطباء النفسيين خارج المراكز العامة تكلّف نحو 50 دولار".

وفيما يتعلق بالمكون الثاني للعلاج النفسي اللادوائي (جلسات العلاج النفسي التي يقدمها المعالجون) أكد بيطار على "ندرة الاختصاصيين النفسيين السوريين الحاصلين على ماجستير في علم النفس السريري، المدربين على إجراء معالجات نفسية سواء كانت سلوكية معرفية، أو سلوكية أو معرفية".

ويضيف الطبيب بيطار قائلاً "السوريين القادرين على التحدث التركية بطلاقة، يستطيعون الذهاب إلى العيادات الخاصة أو العامة" مشدّداً أن "العقبة الرئيسية للتطبيب النفسي هي اللغة، فإحدى أهم مقومات الطب النفسي الخصوصية والسرية، ودخول عنصر ثالث (المترجم) يؤدي إلى غياب الراحة لدى المريض، وبالتالي انعدام فاعلية التشخيص والعلاج، سواء أكان دوائي أو جلسات".

يوجد في كلّ تركيا تسعة أطباء نفسيين سوريين، لم يتمكنوا إلى الآن من تعديل شهاداتهم، ويواجهون صعوبات في التراخيص وأوراق العمل الرسمية، كما أن بعض المرضى يواجهون تعقيدات في التنّقل لتلقي العلاج في المدن التي تتوفر فيها عيادات الطب النفسي، وفقَ بيطار، الذي أكد أن بعض المرضى يقطعون مسافات من مدن بعيدة إلى غازي عينتاب التي يتواجد فيها نسبياً بعض المراكز والعيادات السورية المقدِّمة للخدمة.

ترى سرّاء أن الطب النفسي حاجة بالنسبة إلى السوريين وليس رفاهية، وينبغي التعاطي معه بطريقة مختلفة، وكسر السلطة الاجتماعية التي ما زالت تطلق أحكاماً على كل من يحتاج مساعدة نفسية وصفتها بـ "الجائرة". مشددةً أنها تخشى سؤال الأصدقاء عن طبيب نفسي لأنها تشعر أنهم لا يتقبّلون الفكرة وينظرون لها بعين الريبة والاستهجان. ويتفق الطبيب بيطار مع سرّاء على هذا الطرح، مضيفاً أن "المجتمع السوري لم يتقدّم في مجال تقبله للعلاج النفسي على الرغم من كل ما حلّ به من أزمات، وهي مشكلة أخرى مرتبطة بملف الصحة النفسية للسوريين تضاف إلى المشكلة الأساس (قلة المراكز والمختصين) تحتاج إلى دراسة وفهم الدوافع كخطوة أولى في طريق حلّها".

في البحث عن جنسية بديلة

نشوان الصالح

أعلن منذ فترة رائد الفضاء السوري، اللواء محمد فارس، أنه في مراحل متقدمة من إجراءات الحصول على الجنسية التركية. تذكرته عندما كنتُ طفلاً في التاسعة أتسمّر أمام التلفاز، حين انطلقت الرحلة "سيوز TM-3" باتجاه محطة الفضاء السوفيتية "مير" في تموز 1987، وكان قلبي يصعد إلى السماء معها لا يثقله سوى صوت المذيع وهو يقول: "كل النجوم جاءت إليك مسرعةً يا حافظ الأسد". وبعد عدة أيام تحدث محمد فارس مع الأسد الأب عبر بث مباشر تجمهر السوريون جميعاً لمشاهدته ولسان قلوبهم يقول: "لقد وصلنا إلى الفضاء"، لكن قلبي وقع على الأرض يومها، كما قلوب الكثيرين، لأن "سوريا الأسد" هي التي بلغت الفضاء.

كحال بقية السوريين في المنفى، يبحث محمد فارس عن جنسيةٍ أُخرى، أو عن جواز سفر آخر يمنحه حرية الحركة والتنقل داخل وخارج الأراضي التركية، لأن جواز السفر السوري يحتاج إلى 400 دولار تدفعها كرسوم للسفارة السورية في اسطنبول، ويحتاج إلى ذات المبلغ أو أكثر تدفعه للسمسار الذي سيحجز لك الموعد في السفارة، كما تحتاج إلى أكثر من موعد لتحصل على جواز السفر في حال حصلت على الموافقة الأمنية. وفي كل مرة ستقف في الطابور من الثامنة صباحاً حتى ما يشاء.. موظفو السفارة، وهذا لا ينطبق في غالب الأمر على المنشقين عن جيش النظام.

بعد الحصول على جواز السفر المحدود بعامين، ستمضي العام الأول في التنقل بين السماسرة لتحصل على الإقامة، ويتصاعد الرقم الذي تتفاوض عليه في كل مرة تفشل فيها بالحصول على الإقامة، حتى تجاوز اليوم عتبة الخمسة آلاف دولار، وتمضي العام الثاني في البحث عن سمسار آخر لحجز الموعد لتجديد الجواز، ثم تغوص في بيروقراطيات تجديد الإقامة.. وهكذا دواليك.

في المحصلة يحتاج السوري إلى أن يتحزّم بعشرة آلاف دولار ليحصل على الإقامة، المبلغ الذي يكفي عائلة لمدة عامين في الجنوب التركي. بمعنى آخر، يعتبر هذا المبلغ ثروة في ظروف شحت فيها فرص العمل للسوري الذي يحمل بطاقة الحماية المؤقتة "الكيملك"، فالعمل خارج المنظمات لا يأتي بدخل يتجاوز 3000 ليرة تركية (ما يقارب 500 دولار)، ثم أن العمل داخل المنظمات يحتاج إلى إقامة أو جنسية ثانية في الغالب، وإذن عمل متعسر في كلتا الحالتين، وسيتم ترحيلك إلى سوريا إذا ما تم ضبطك تعمل بدونه، كما حصل مؤخراً مع العاملين في بعض مطاعم ومقاهي أورفا.

للمنشق عن الجيش قضية أُخرى أكثر تعقيداً، فهو متهم بالخيانة عند الفروع الأمنية التابعة للنظام، الخيانة التي تحرمه من حقوقه المدنية كمواطن سوري، وهذا يسترعي مبالغ إضافية تدفعها كرشى للتعمية على اسمك ريثما تحصل على الجواز.

في منحىً بديل، يتردد السوريون بشكل يومي على دائرة الهجرة التركية للسؤال عن أسمائهم إن كانت قد ترشحت للحصول على الجنسية، وعند اليأس يبحثون عن حلولٍ أُخرى، فالبعض ينقل قيده إلى ولايات فيها تسهيلات للحصول على الجنسية، والبعض الآخر يتقدمون إلى الدراسية الجامعية لأن طلبة الجامعات حصلوا على الجنسية بمعدل كبير ولافت في فترات سابقة، ومنهم من يراسل إدارة الهجرة في أنقرة أو يوكل محامياً تركياً قد يكون قادراً على "دحش" اسمه في "السيستم".

هاجر الملايين من السوريين باتجاه أوربا، كحل جذري يؤمن لهم مستقبلاً أفضل بجواز سفر بديل أو جنسية بديلة، وعاد العديد منهم إلى تركيا وسوريا بعد حصوله عليها، منهم من يعمل بالشأن العام وعاد ليتابع ما بدأه بإمكانية كبيرة للتحرك بين المدن والبلدان، ومنهم من أصبح يتصرف كإنسان "طبيعي" قادر على السفر بأي وقت يشاء بغرض الزيارة أو السياحة أو العمل.

ارتفع قلبي مرةً أُخرى عندما انشق محمد فارس، فهذا يعني أن سوريا الثورة وليست سوريا الأسد هي التي بلغت الفضاء، وارتفع أكثر عندما قرأت خبر اقتراب محمد فارس من الجنسية التركية، لكنه بقي هناك معلقاً بين السماء والأرض، فلا هو صاعدٌ إلى السماء فرحاً بجواز السفر التركي الذي حرر سورياً آخر من القيود، ولا هو واقعٌ على الأرض حزناً على جواز السفر السوري الذي تركناه مرغمين.

التصميم لعمار العيسى

الاحتجاجات في لبنان تخلق انقساماً في حزب اللّه.. هل سيرد الحزب؟

جيزيه روزينفيلد
18 تشرين الثاني - عن جريدة الديلي بيست
ترجمة مأمون الحلبي

أحد قادة حزب الله يقول لصحيفتنا أنه أبداً لن يُطلق النار على شعبه. قائد آخر يتبع الخط المرسوم في إيران، مُلقياً باللوم على الولايات المتحدة وإسرائيل بخصوص الاضطرابات اللبنانية.

منذ تسعينيات القرن الماضي وهو يقاتل إسرائيل، وقد قَتل الكثير من المقاتلين في الحرب الأهلية في سوريا، لكنّ الصعوبات المتزايدة في حياة الطبقة العاملة اللبنانية، والثورة الشعبية ضد قادة البلاد قد أجبرت أبو حسين على إعادة تقييم انخراطه في حزب الله المُمتد على مدار عقود من الزمن. الجماعة، المُصنّفة إرهابية من قِبل الولايات المتحدة منذ ثمانينات القرن الماضي، تدعمها إيران، وهي أقوى من الجيش اللبناني، وتتمتع بفيتو سياسي على سياسات الدولة.

لقد قابلت أبو حسين (اسم مستعار) عدة مرات على مدار الأربع سنوات الماضية، لكن هذا الحديث في ضواحي بيروت الجنوبية لا يشبه أي حديث آخر أجريناه من قبل. فبغض النظر عن شراسة القتال الذي كان قد حصل في سوريا، كان أبو حسين بعد عودته إلى لبنان ثابتاً دوماً في ولائه والتزامه الأيديولوجي بالحزب. لكنه الآن محبط من رد حزبه على السخط الواسع الذي يتملّك الجماهير المنتشرة في الشارع، وقد أثقل عليها الفساد والتقشف وتكاليف المعيشة المرتفعة.

وبعد سنوات من القتال خارج لبنان بصفته قائد إحدى وحدات الرد السريع التي يبلغ عدد أفرادها 200 مقاتل، فإن قضايا محلية وليست قضايا إقليمية هي ما يدفعه لهجران الحركة. في بداية الأمر، بنى حزب الله قوته وسمعته من خلال القتال ضد الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. يقول أبو حسين: "هل أنا عضو في حزب الله ضد الإسرائيليين؟ نعم، أنا كذلك. هل أنا عضو في الحزب عندما يكون الحزب ضد الناس الذين في الشوارع؟ كلا".

قبل شهرين، عندما كان لبنان وإسرائيل على شفير الحرب، كان أبو حسين جزءاً من عملية إعادة انتشار لقوات عائدة من سوريا، وكان يقود دوريات ومهمات استطلاعية على حدود لبنان الجنوبية مع إسرائيل. لكن بعد ذلك -الشهر الماضي- نزلت جماهير الطبقة العاملة والوسطى في كل أنحاء لبنان إلى الشوارع مُعلنة إدانتها للطبقة السياسية الحاكمة، التي تُثري بينما ينهار اقتصاد البلاد. وعوضاً عن تحميل المسؤولية للانقسام الطائفي، أدان المسيحيون والدروز والشيعة والسُنّة في هذه المرة فشل قياداتهم، وبالنسبة لأبي حسين، فإن شيئاً ما قد تغيّر.

يقول أنه يرفض العودة إلى سوريا، وأنه لم يخرج في دوريات الجنوب منذ بدء الاحتجاجات. "مطالب المحتجين مشروعة 100%." وهو يُحاجج بأن عدداً متزايداً من رفاقه المسلحين يُساندون المظاهرات وقطع الطرقات، حيث يهتف المحتجون "كلن يعني كلن". شعار يحمل توبيخاً لكل القادة السياسيين للبلاد. "لقد ارتكب حزب الله خطأً فادحاً. فقد كان يعتبر نفسه أكبر من لبنان. أبداً لم يخالج الحزب الظن أن الناس ستتمرد عليه بهذه القوة، وهو يشعر الآن بضغط الناس عليه."

في مدن كالنبطية وبلدات وادي البقاع، شتم المتظاهرون نبيه بري وحسن نصرالله. يقول أبو حسين: "هناك أطفال لبرلمانيين من حزب الله يقولون لآبائهم أن مطالب الناس يجب أن تُسمع". وهو حريص على إبقاء نصرالله خارج دائرة اللوم، مُلقياً بالمسؤولية على أولئك المحيطين به وعلى نبيه بري، الذي تحوّل من أمير حرب إلى رئيس للبرلمان منذ عام 1992. لكنّ أبو حسين لا يوارب عندما يتكلّم عن رد نصرالله على الانتفاضة. يقول أبو حسين: "فليقل حزب الله ما يشاء. في كل مرة يصل فيها الحزب إلى نقطة يشعر فيها أنه في ورطة مع جمهوره، يُلقي بالمسؤولية على طرف آخر. الحزب الآن في ورطة ولا يعرف ما العمل".

في حين يقول أبو حسين أنه ضمن عدد متزايد من المقاتلين الذي يتركون التنظيم، فإن أبو عبدالله (اسم مستعار) ثابت في تأييده للحزب. قاتل الإسرائيليين عام 2006، وبعدها ساند نظام الأسد وهو الآن يدرب مقاتلين. يقول أبو عبدالله، وهو يصف وحدات حزب الله على امتداد البلاد بأنها "في يقظة تامة"، أنهم يترصدون الأعمال الأمريكية أو الإسرائيلية المزعزعة للاستقرار وسط الاحتجاجات. ويعرف أبو عبدالله أيضاً أشخاصاً من الضاحية يذهبون إلى الاحتجاجات ويسمع عن السخط من حزب الله إلى جانب بقية الطبقة السياسية، لكنه استمع إلى اتهامات نصرالله، وهو مقتنع أن الاحتجاجات ناتجة عن التحريض الأجنبي. "الإسرائيليون والأمريكيون يشعرون أن بوسعهم التسلل عبر هذه الاحتجاجات، لكننا لن نسمح لهم بذلك." يقول أبو عبدالله: "إن تلقيت أمراً أو فتوى بإطلاق النار على الناس، عندها نعم، سأطلق النار على أخي".

بالنسبة لأبو حسين، لا يوجد أمر أو عقيدة دينية يمكن أن تجعله ينقلب على أهله ويهاجمهم، وهو يفضل أن يتخلى عن منصبه على أن يساعد حزب الله باستخدام قوته ضد شعبه. بالنسبة لحزب الله، مخاوفه من أن أعداد من هم على شاكلة أبو حسين تتزايد في صفوفه قد تكون إحدى الأسباب في أن رد فعله، حتى الآن، قد بقي سياسياً.

أبو إيليا.. المولع بالأماكن التي لا يدخلها إلا الكبار

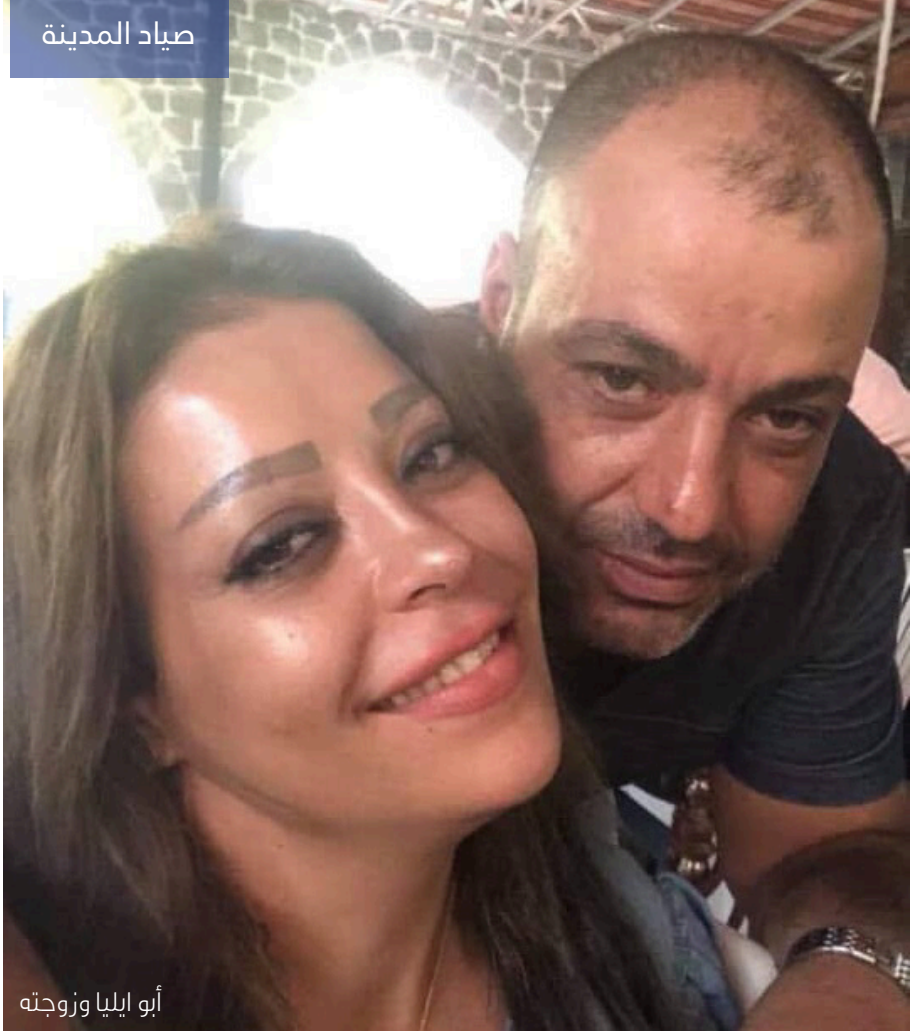
أبو ايليا وزوجته

في منتصف شهر تشرين الأول الماضي، افتتح القيادي في ميليشيا "الدفاع الوطني" في دمشق ياسر سليمان الملقب ب"أبو إيليا" مطعماً فخماً في منطقة مشتى الحلو في ريف طرطوس، أطلق عليه اسم ناي.

هذا الاسم الشاعري للمطعم لا يعبر عن ميول صاحبه "أبو ايليا"، قائد الحاجز الشهير قرب الفرن الآلي بحي الزاهرة الجديدة في دمشق، الذي عرفه الآلاف من سكان الحي وغيرهم من سكان حي التضامن ومخيمي اليرموك وفلسطين، منذ أقيم الحاجز في العام 2012 وحتى إزالته في العام الماضي، إذ شكل خلال هذه السنوات هاجساً لكل من يمر عبر هذا الحاجز، ولكل من يسكن في دائرة نفوذه، لا سيما في الزاهرة والتضامن.

كان أبو إيليا قادراً على اعتقال من يشاء ثم إخفائه ومطالبة ذويه بفدية مالية كبيرة وإلا فمصيره الموت، ف"أبو ايليا" لا يحب تحويل أحد إلى المخابرات وإرهاق "الشباب" هناك بالتحقيق مع المعتقل وتعذيبه وسجنه وإطعامه، بل يفضل أن يحسم الأمر بسرعة. "معكن 24 ساعة بس وإلا بيتقطع تقطيع وبرميه للكلاب السود"، هذه مهلته لذوي المعتقلين لجلب الفدية التي بدأت بنصف مليون، ثم أخذت تزيد شهراً بعد آخر من عمر الحاجز لتصل إلى (10) ملايين.

ومثل غيره من أمراء الحرب وقادة الميليشيات، وجد أبو إيليا في منازل المهجرين والنازحين -فضلاً عن الأثاث- غنيمة سهلة لا تتطلب منه سوى تزوير بعض الورقيات، ليسجل المنزل في ملكيته أو ملكية زوجته منال بدر، قبل أن يعاد بيعه ويحول الثمن من الليرة السورية إلى الدولار، أو إلى سبائك وليرات ومصوغات ذهبية، إذ كان للزوجين خططاً ونظرة إلى المستقبل، فكما أقيم حاجز الفرن لا بد أن يزال في يوم ما، ولا بد والحال هذه أن يؤسسا البديل في فلل وعقارات ومطاعم (آخرها ناي) بين دمشق والساحل ولبنان.

قبل الثورة كان أبو إيليا المتحدر من الطائفة العلوية في قرية عين فيت بمنطقة الجولان، موظفاً في مؤسسة استهلاكية، وكانت زوجته كذلك. وبالكاد استطاعا شراء بيت من غرفتين في الزاهرة. وحين اندلعت الثورة سارع "أبو إيليا" إلى الانخراط ضمن مجاميع الشبيحة المتخصصة بقمع المظاهرات، قبل أن يشارك في تأسيس ما عرف آنذاك ب"اللجان الشعبية" التي تطورت إلى "الدفاع الوطني".

وسريعاً انتقل الزوجان إلى بيت أكبر أثث بأفخم قطع الأثاث المنزلي المنهوب. ولأن الزوجة امرأة عصرية وتود أن تظل شابة ورشيقة، أجرت عمليات تجميل عدة واتبعت نظاماً غذائياً خاصاً، فيما واصل أبو إيليا ولعه الطارىء بالسيارات، وبأماكن السهر التي لا يدخلها إلا الكبار.

لم ينسَ أبو إيليا أبناء قريته، ولم يخيب أحداً قصده في طلب. ومع كل قتيل منهم تصل جثته إلى الزاهرة أو التضامن أو حي الورود وغيرها من الأحياء التي يقيم فيها نازحو عين فيت، تكفّل أبو إيليا بنفقات العزاء، وواسى زوجة القتيل أو أمه بالمال، فهو الوجيه الصاعد في هذه الجماعة، ويريد أن يصبح انطلاقاً من هذه الوجاهة عضواً ب"مجلس الشعب" في وقت ما.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP

أطمة

نازحو مخيم قاح في أطمة - بعدسة أحمد العكلة - خاص